عمران سبته
كما شاهده ووصفه الأنصاري السبتى

د . كمال عنانى إسماعيل(*)

نظرة عامة حول تاريخ سبته منذ خضوعها للمسلمين حتى سقوطها فى أيدى البرتغاليين :

سبته بفتح السين وسكون الباء مدينة ساحلية قديمة(١) ، من مدن المغرب الأقصى . وتحتل سبته موقعاً استراتيجياً يتحكم فى مضيق جبل طارق وتحيط بها الجبال من ناحية الغرب . وهذا الوضع الجغرافى جعل اتصالها بالأندلس أقوى بكثير من اتصالها بالمغرب الذى تقوم على أرضه . ولهذا قدر لسبته منذ بداية الحكم العربى فى بلاد المغرب أن تلعب دوراً رئيسياً فى شئون الأندلس إذ كانت على صلة وثيقة ومستمرة به بحيث أصبحت مدينة عربية ذات طابع أندلسى فى مظهرها وثقافتها وفى وضعها السياسى(٢) .

والواقع إن قرب مدينة سبته من الشاطىء الأندلسى جعل تاريخها على مر العصور مرتبطاً بتاريخ الأندلس ، فمن سبته كان جواز الفاتحين المسلمين الأوائل من بر العدوة المغربية إلى الأندلس . وقد نجح الأمويين بالأندلس فى السيطرة على مدينة سبته التى كان يحكمها يوليان(٣) . واتخذوها قاعدة استراتيجية لهم لمقاومة الخطر الفاطمى فى القرن ٤ هـ/١٠م زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر(٤) . كما استولى عليها الحموديون حكام مالقة زمن ملوك الطوائف فى القرن ٥هـ/١١م(٥). ولقد تعرضت سبته فى عصر الطوائف لنفس ما تعرضت له سائر بلاد المغرب والأندلس من تمزق وفوضى سياسية فانتهز سقوط البراغواطى(٦) . فرصة تدهور أوضاع الحموديين ، وأعلن استقلاله بسبته ، مكوناً دولة من دول الطوائف العديدة التى ظهرت فى بلاد المغرب والأندلس فى تلك الفترة(٧) .

(*) مدرس بكلية الآداب – جامعة الأسكندرية .

وقد دخل سقوط البراغواطى فى صراع مع المرابطين انتهى بدخول سبته فى طاعة المرابطين على يد المعز بن يوسف بن تاشفين(٨) . ولم تبق سبته طويلاً في يد المرابطين حيث خضعت للموحدين على أثر مصرع تاشفين بن على بن يوسف أمير المرابطين فأعلن أهل سبته طاعتهم لعبد المؤمن بن على عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥ م (٩).

وكان أن ظلت سبته خاضعة للموحدين حتى وفاه الرشيد الموحدى عام ٦٤٠هـ/١٢٤٢م حيث أعلن واليها اعترافه بالخليفة الموحدى الجديد السعيد بن المأمون ، وأعلن بيعته للأمير الحفصى أبى زكريا يحيى عام ٦٤٠هـ/ ١٢٤٣م ، وبذلك صارت سبته تابعه للحفصيين(١٠) إلى أن استقلت بها أسرة أندلسية تعرف ببنى العزفى فى القرن ٧هـ/١٣م(١١) . وفى عام ٧٠٥هـ/١٣٠٥م استولى سلطان غرناطة محمد بن نصر على سبته ، ونقل بنى العزفى إلى غرناطة حيث بقوا هناك إلى أن عاود المرينيون استخلاص سبته من يد النصريين سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م على أثر ثورة داخلية بالمدينة . وفى سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م عاد يحيى بن أبى طالب العزفى والياً على سبته من قبل السلطان المرينى أبى سعيد(١٢). وأخيراً سقطت سبته في أيدى البرتغاليين عام ٨١٨هـ/١٤١٥م نتيجة الصراع عل السلطة بين أبناء البيت المرينى ، وكذلك المنازعات بين بنى مرين وبنى عبد الواحد أصحاب تلمسان(١٣) وفى عام ١٥٨٠م آلت سبته إلى أسبانيا عندما ضم ملك أسبانيا فيلب الثانى البرتغال إلى مملكته . ومازالت سبته فى أيدى الأسبان إلى الآن(١٤) .

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن مدينة سبته اشتهرت على مر العهود الإسلامية كدار للعلم والعلماء ، ويكفى أنها أنجبت من العلماء القاضى عياض بن موسى السبتى ، والشريف الإدريسى . وقد أورد صاحب كتاب بلغة الأمنية أسماء سبعة وأربعين رجلاً وامرأة واحدة من علماء سبته من القرن ٨هـ/١٤م . فى مختلف الفنون والعلوم(١٥) . نذكر منهم أبو عبد الله محمد بن هانى اللخمى الذى كان

يتولى التدريس والقراءة بمسجد القفال(١٦) وأبو القاسم بن عمران الحضرمى ناظر خزانة الجامع الأعظم(١٧) . وأبو محمد قاسم بن أبى حجه الأنصارى أستاذ المدرسة الجديدة(١٨) . والطبيبة الشهيرة عائشة ابنة الشيخ الكاتب أبى عبد الله ابن الجيار المحتسب بسبته(١٩) .

وفى ضوء الثبت المفصل لمعالم مدينة سبته الذى زودنا به الأنصارى يتضح أن مدينة سبته ظلت حتى أوائل القرن ٩هـ/١٥م تنعم بالرخاء والازدهار والعمران إلى أن سقطت المدينة فى أيدى البرتغاليين عام ٨١٨هـ / ١٤١٥م فتعرضت لأعمال السلب والنهب ونزح عنها معظم سكانها وتلاشت الآن معظم معالمها التى سنحاول كشف النقاب عنها من خلال ما دونه الأنصارى عن أثار تلك المدينة ومعالمها .

نبذه عن الكتاب ومؤلفه :

الواقع أننا لا نعرف شيئا عن مؤلف كتاب اختصار الأخبار سوى أنه كان من أبناء سبته حيث عرف نفسه فى مقدمة الكتاب بأنه محمد بن القاسم بن محمد ابن محمد بن أحمد عن بن عبد الملك الأنصارى السبتى الدار والنشأة والمولد(٢٠) . وسوى ما ذكر من أن أبا العباس بن أبى الخير الأنصارى جده من قبل الأم . وأن أبا العباس الدقاق من أصهار سلفه(٢١) .

وفى رأى الأستاذ عبد الوهاب بن المنصور أن أصل هذا السلف من قرية بحوز سبته تسمى بزبج ، لأنه يسميها قريتنا عندما يذكرها ، حيث كانت لهم بها أملاك ثم انتقلوا منها إلى سبته حيث تملكوا بعض العقارات(٢٢) .

وقد أشار الأنصارى فى كتابه اختصار الأخبار إلى ثلاثة كتب الأول بعنوان « بغيه السامع » وقد ذكر صراحة أنه من تأليفه(٢٣) . والكتاب الثانى يسمى الأعلام. ورغم أنه لم يشر صراحة إلى أنه من تأليفه إلا أنه يحيل عليه كثيراً فى كتابه اختصار الأخبار، كقوله «حسبما استوعبنا وصفه فى الأعلام» . وبسطنا القول فى الأعلام وبالغنا فى وصفه فى الأعلام(٢٤) . مما يدل على أن كتاب الأعلام أيضاً من تأليفه .

أما الكتاب الثالث فعنوانه الكواكب الوقادة(٢٥) ، وربما كان من تأليفه أيضاً .

الكتـــاب :

أما عن كتاب اختصار الأخبـار موضـوع الدراسـة فـإن النظـرة المتأنيـة فـى محتويات هذا الكتاب تجعلنا نضعه بـين كتـب الخطـط ، التـى تعـالج عمـران المـدن وتعين فى رسم خرائطها الطبوغرافية .

وتبرز أهمية الكتاب وقيمته فى أن مؤلفه كان من أبناء سبته ، وأنــه استقى معلوماته من خلال المعاينة والمشاهدة الشخصية ، بحيث لا يديـن لأحـد بشـئ مـن معلوماته الغزيرة وأوصافه الدقيقة لمختلف مظاهر عمران سبته . ففى هذا الكتـاب ما ليس فى غيره مما صدر من مصنفات عن مدينة سبته ، لا سيما ما يتعلق بعمـران المدينة فى عصرها الإسلامى . ومن هنا تتأكد قيمته وأهميته من حيث إنـه زودنـا بصورة واضحة لعمرانها الإســلامى قبـل أن يحتلهـا البرتغـاليون ويتحـول مظهرهـا الإسلامى إلى تراث أسبانى برتغالى .

• وتجدر الإشارة إلى أننى لست أول من عنى بكتـاب اختصـار الأخبـار ، فقد نشره لأول مرة الأستاذ ليفى بروفنسال عام ١٩٣١م بمجلة هيسبريس ثم أعيد طبعه بتطوان سنة ١٩٤٠م(٢٦) اعتماداً علـى نسـخة كـانت فـى حـوزة آل بنونـه بتطوان ، كما نشر هذا النــص أيضـاً الأسـتاذ محمـد بـن تـاويت سـنة ١٩٥٨ فـى العددين الثالث والرابع من مجلة تطوان . وفى سنة ١٩٦٢م قام الأسـتاذ خواكـين بالبين بترجمة هذا النص إلى اللغة الأسـبانية ، ونشـر الترجمـة بمجلـة الأندلـس تحـت عنوان وصف سبته فى القرن ١٥م(٢٧) .

وأخيراً نشره الأستاذ عبد الوهاب بن منصور فى الرباط سنة ١٩٨٣م .

ورغم أهمية كل هذه النشـرات التـى صـدرت لهـذا النـص ، إلا أن جهـود الناشرين اقتصرت على مقابلة نصوص الكتـاب ، وإبـراز مـا بينهـا مـن اختلافـات بسيطة مع إبداء بعض الملاحظات والتعليقــات حـول الشـخصيات التـى اسـتفدت منها فى دراستى ، لاسيما ، ما نشـره كـل مـن الأسـتاذين خواكـين بـالبين وعبـد الوهاب بن منصور .

وهكذا تحدد عملى الذى يهدف على خلاف كل النشرات سالفة الذكر- إلى إبراز قيمة كتاب اختصار الأخبار فى رسم صورة واضحة لعمران سبته الإسلامية فى ضوء مقابلة ما ذكرته المصادر التاريخية والجغرافية فى الفترة الطويلة التى سبقت تأليف هذا الكتاب ، وما استجد من أبحاث فى الفترة التى تلت تأليفه والتى تقدر بنحو ستة قرون إلا قليلا .

التخطيط العام لمدينة سبته الإسلامية وأهم المظاهر العمرانية فى ضوء وصف الأنصارى :

الواقع إن دراسة العمران فى مدينة سبته ومحاولة رسم صورة واضحة لها فى العصر الإسلامى من حيث تخطيطها ومظاهر عمرانها الاجتماعى والاقتصادى يتسم بالصعوبة . ذلك أن تلك المدينة فقدت طابعها كمدينة إسلامية منذ أن احتلها البرتغاليون فى عام ٨١٨هـ/ ١٤١٥م حيث تبدل مظهر المدينة ، ولم يبق الآن من الفن المعمارى الإسلامى ما يمكن أن تقع عليه عين الملاحظ العابر ، إذ أن معظم تراثها المشاهد الآن هو تراث أسبانى برتغالى حل محل التراث المعمارى الإسلامى. ولذا فإننا نجد حاجة ملحة إلى إلقاء الضوء حول عظمة التراث المعمارى المندرس بمدينة سبته فى العصر الإسلامى .

أولاً : النطاق المسور للمدينة :

(أ) الأسوار :

تعد الأسوار من أهم المنشآت العسكرية التى تميزت بها المدن الإسلامية . وتؤدى الأسوار إلى جانب وظيفتها الحربية فى حماية المدينة من أى عدوان خارجى، وظيفة اجتماعية ، وهى تحديد النطاق العمرانى الآهل بالسكان(٢٨) .

ولما كانت مدينة سبته-بفضل موقعها الاستراتيجى- تعتمد فى الدفاع عن نفسها على البحر المتوسط الذى يدور بها شمالاً وجنوباً وشرقاً(٢٩) مشكلاً خندقاً طبيعياً مانعا يكفل حمايتها ، ويتيح لعمرانها المرتفع التحكم فى الدفاع عنها، بحيث

أصبحت على حد تعبير ياقوت الحموى « ضاربة فى البحر داخلة كدخـول كـف على زند »(٣٠) .

وهكذا نرى أن المنطقة الوحيدة التى تحتاج إلى حماية هى الجهة الغربيـة(٣١). ولذلك استلزم الأمر إحاطتها بسور يحميها من هذه الجهة بحيث يصعب منالها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصانتها .

وللأسف أن الأنصارى لم يزدنا بأية معلومـات عـن هـذا السـور . غـير أن البكرى أكد على أن المدينة كـانت مسـورة بسـور محكـم البنـاء بنـاه عبـد الرحمـن الناصر(٣٢) ، وذلـك عندمـا اقتحـم مدينـة سـبته وأقـام الدعـوة الأمويـة بهـا عـام ٣١٩هـ/٩٣١م . وقد أشار ابن عذارى إلى ذلك بقوله (وقد عمل النـاصر علـى تحصين تلك المدينة فشكها بالرجال وأتقنها بالبنيان وبنـى سـورها بـالكذان(٣٣) . وألزم فيها من رضيه من قواده وأجناده)(٣٤) .

وقد تهدم هذا السور وأعيد بناؤه فـى عهـد البرتغـاليون ، وبذلـك اختفـت معالمه الإسلامية باستثناء بعض أجـزاء شـوهتها أعمـال التجديـد والترميمـات التـى ألحقت بها منذ أن سقطت سبته فى أيدى البرتغاليين(٣٥) . ولم يعـد باقيـاً الآن من السور سوى برج مربع(٣٦) نسبه الأستاذ تراس إلى عصر الدولـة الأمويـة ، وبالتحديد لعصر الخليفة عبد الرحمن الناصر ، على أساس أن البرج مبنى بقطـع ضخمة وغير منتظمة من الحجارة على نظام أديـه وشـناوى ومثـل هـذا النظـام وكذلك مادة البناء كانت من أكثر مواد البناء شـيوعاً فـى بـلاد الأندلـس فـى عصـر الخلافـة علـى حـين نـدر اسـتخدام هـذا النـوع مـن الحجـارة فـى بـلاد المغرب(٣٧) .

هذا عن السور الغربى لمدينة سـبته ، أمـا عـن النظـام الدفـاعى لبقيـة أجـزاء المدينة الشمالية والشرقية والجنوبية فلا تظفر فى وصف الأنصارى أيضاً بأية إشـارة تتعلق بما كان عليه النظام الدفاعى للمدينة فى تلك الجهات .

وفى ظل هذا الصمت من قبل الأنصارى ، نتسأل هل ظلت تلـك الجهـات تعتمد فى تحصينها على البحر المتوسط كخط الدفاع الأول عن المدينـة . أم أنهـا كانت مسورة هى الأخرى بأسوار لحمايتها؟

ومع أن ما وصلنـا فـى المصـادر العربيـة عـن أسـوار سـبته وتحصينهـا يعتـبر شحيحاً للغاية ، بحيث لا تعين بشكل كاف على دراستنا التحليلية لهذه الأسـوار ، ولا تتضمن أية تفاصيل عن موقعها ، إلا أننا نستطيع مـن هـذه المـادة الهزيلـة التـى زودنا بها مؤرخو العرب وجغرافيهم أن نجيب على التساؤل السابق . فنقول بـأن الجهة الشرقية من المدينة كانت محاطة بسور بناه المنصور محمد بن أبى عامر عندمـا شرع فى بناء قصبة أو مدينة جديدة فى الجهة الشرقية من مدينة سبته فـوق جبـل الميناء(٣٨) والتى عزم على نقل سكانها إليها . ولكنه توفى قبل أن يتم مشروعه . وفى ذلك تشير المصادر العربية فتقول (وفى آخر المدينة بشرقها جبل كبـير يسـمى جبل الميناء . وقد كان محمد بن أبى عامر أمر أن يبنـى لهـذا الجبـل مدينـة ويتصـل إليها أهل سبته ، فبنى سورها ، ومات، ولم يتم ما أراد . والسـور باق إلى وقتنـا هذا كأنه بنى بالأمس وهو يظهر من بر الأندلـس لبياضـه . ومـن غريـب مـا فـى ذلك السور أن فيه شقة مستطيلة بأبراجها ومبنية بالزيت عوضاً من المـاء . وكـان غرضه إتمام عمله على هذا ، لولا الإنفاق الكثير فإن البنـاء بـالزيت أصلـب وأبقـى مع مرور الدهور والأزمان فلم يساعده الأجل رحمه الله)(٣٩) .

وإلى الشمال الشرقى من هذا السور الذى بناه المنصور بن أبى عـامر ، أقـام أبو القاسم العزفى سوراً آخر ، حيث أشار ابـن أبـى زرع فـى سياق حديثـه عـن أحداث عام ٦٤٩هـ/١٢٥١م إلى أن أبـا بكـر أبـى قاسـم العزفىبنـى فـى السـنة المذكورة سور سبته بجانب المنارة . وقيل بل كان ذلك فى سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م وهو الأصح(٤٠) .

وفـى ضـوء الإشـارة السـابقة نسـتدل علـى أن الجهـة الشـمالية الشـرقية مـن مدينـة سـبته حيـث كـانت تقـع المنـارة أو النـاظور-كمـا هـو موضـح فـى

الخرائط التى تبين مواقع المدينة ومعالمها الإسلامية(٤١) - ظلت بدون سور إلى أن دعت الضرورة أبا القاسم العزفى أن يطوق هذه الجهة بسور لحمايتها من الأخطار الخارجية .

وتوضح المخططات التى وضعت لأسوار سبته قبل تهدمها ، أن السور الشرقى كان يمتد شمالا ثم يتجه شرقا فى شكل زاوية قائمة إلى المنطقة المعروفة بجبل المينا ، حتى يصل إلى باب المينا ، ثم يواصل سيره صعوداً إلى أن يصل أقصى ارتفاع له عند الربوة التى يوجد بها مسجد المقبرة(٤٢) .

أما عن الجهة الجنوبية فعلى الرغم من أن المصادر العربية لم تبين الوضع الذى كان عليه النظام الدفاعى للمدينة فى هذه الجهة ، إلا أن أحد الباحثين أكد بأن الجهة الجنوبية من المدينة والتى كان يحيط بها بحر أبى السول فى الشاطئ الجنوبى ، كان يحيط بها هى الأخرى سور يرجع تاريخه إلى العصر الإسلامى(٤٣). وقد استند فى ذلك على المخططات التى وضعت لمدينة سبته فى القرن ١٥م ، والتى نرى فيها بوضوح جزءاً من سور إسلامى قد فتح فيه باب يعرف بباب مضرب الشبكة أو باب الزلاقه ، يتقدمه برج يعرف ببرج الماء(٤٤) . كما نلاحظ أيضاً من خلال أحد هذه المخططات أن مدينة سبته كانت محاطة تقريباً بأسوار تبدأ من الجهة الشمالية الشرقية وتمتد مارة ببابين فى السور الشرقى المشار إليهما برقمى٢،٣ لتصل إلى أقصى الجهة الجنوبية الغربية من المدينة(٤٥) . ونخرج من ذلك بنتيجة هامة وهى أن الجهة الجنوبية من المدينة كان يحيط بها هى الأخرى سور يرجع إلى العصر الإسلامى ، أقيم لحماية تلك الجهة التى كان يتركز فيها أهم أحياء سبته ومراكزها العمرانية ، مثل الجامع والمدرسة الجديدة والقيسارية .

وأما عن الجهة الشمالية من المدينة ، فكانت فيما يبدو هى الجهة الوحيدة غير المسورة ، حيث اعتمدت فى حمايتها بشكل رئيسى على بحر الرملة فى الطرف الشمالى من المدينة . ويؤكد ذلك ، المخططات التى وضعت للمدينة ، والتى لا نرى فيها أية آثار لأسوار تطوق المدينة من هذه الجهة(٤٦) . كما أكد الأستاذ

كارلوس جوثالبث على هذه الحقيقة بقوله أن المسلمين لم يقيموا أسوار حول هـذا القطاع الممتد بطول بحر الرملة فى شمال المدينـة ، ويدلـل علـى ذلـك بـأن جيـوش البرتغاليين عندما فكرت فى غزو المدينة دارت حولها ثم استقر رأى قائد الأسـطول البرتغالى على أن يكون غزوها من الجهة الشمالية المطلة علـى بحـر الرملـة ، حيـث إنهـا الجهـة الوحيـدة التـى يسـهل الوصـول منهـا إلى داخـل المدينـة لأنهـا غـير مسورة(٤٧) .

وفى تصورى أن إحجام أهل سبته عـن تسـوير الجهـة الشـمالية مـن المدينـة يرجع إلى أن التوسع العمرانى فى العصر الإسلامى لمدينة سـبته-وفقـاً لمـا نـراه فـى الخرائط التى توضح مواقع المدينة ومعالمها-كـان مركـزاً بصفـة أساسـية فـى ثلاثـة قطاعات رئيسية ، هى القطاع الشرقى حيث كانت المدينة التـى شـرع فـى بنائهـا المنصور بن أبى عامر . والقطاعان الجنوبى والغربى حيث كـان يضمـان بداخلهمـا كافة المراكز العمرانية للمدينة الدينية والمدنيـة والاقتصاديـة ، والتـى سـوف نشـير إليها بعد ذلك فى دراستنا لمراكز المدينة العمرانية .

وبهذا نكون قد أوضحنا فى ضوء المصادر العربية والمخططات التى وضعت للمدينة ، الشكل الذى كان عليه النطاق المسور لمدينة سبته فى العصر الإسلامى .

والواقع أن تتبع ذلك النطـاق فـى الوقـت الحـالى أمـر بـالغ الصعوبـة ، لأن معظم أسوار المدينة قد تهدم واختفى فى جملة ما أختفى من آثارها الإسلامية التـى كانت تزهو بهـا فـى العصـر الإسـلامى . ومـا تبقـى مـن تلـك الأسـوار تعـرض للسقوط وتحول إلى أسوار درست عبر السنين . وهـذا مـا تبينـه المخططـات التـى أعدت لسبته منذ القرن ١٥م وحتى بداية القرن ١٩م(٤٨) .

(ب) أبواب المدينة :

أحصى الأنصارى عدد أبواب سبته فى العصر الإسـلامى بـ ٥٠ (خمسـين) باباً(٤٩) . ونظراً لاندثار معظم هذه الأبواب فمن الصعب تحديد مواقعها ، وتتبـع

أسمائها التى أطلقت عليها عبر حقب التاريخ الإسلامى لمدينة سبته . كما ان الأنصارى نفسه لم يذكر من أسماء تلك الأبواب سوى تسعة أبواب ، وهى حسب ترتيب ذكره لها .

أولاً : الأبواب ذات الطابع الحربى :

١ – الباب الأحمر :

أورد الأنصارى ذكر هذا الباب بمناسبة حديثه عن أحد مقابر سبته بقوله (ومن أشهرها بمقبرة مضرب الشبكة البرانى خارج الباب الأحمر قبور الشرفاء الحسينين وهم عدد كثير جمعتهم روضة واحدة(٥٠) . وكانوا رضى الله عنهم ونفعنا بمحبتهم أهل علم وصلاح ودين)(٥١) .

ويبدو أن هذا الباب كان ينفتح فى سور المدينة الجنوبى ، المعروف بسور البحر لإطلاله على بحر أبى السول فى الشاطئ الجنوبى . ويؤكد ذلك ما ذكره الأنصارى فى موضع آخر عن مقبرة أخرى من مقابر المدينة بقوله : (وبمقبرة الربض البرانى داخل سور البحر من الموضع المعروف بمضرب الشبكة قبر الشيخ الفقيه أبى عبد الله عمر بن مسعود والعكس المعروف بابن الكنغر)(٥٢) .

وبإمعان النظر فى هذا النص والنص السابق ، يمكن الاستدلال على أن الباب الأحمر كان يقع داخل النطاق المسور الجنوبى لمدينة سبته ، بحيث يفضى من الجهة الجنوبية إلى خارج المدينة ، ومن الجهة الشمالية إلى داخلها ، فيصبح موضع مضرب الشبكة بقبورها خارج السور من الداخل وفقاً لما ورد فى نص الأنصارى.

٢ – باب فاس :

كان يقع هذا الباب فى القطاع الغربى من سور المدينة(٥٣) الذى يطوق منطقة أفراك Afrag(٥٤) على مقربة من أحد زوايا المدينة التى شيدها السلطان أبو عنان بن أبي الحسن(٥٥) . وقد أشار الأنصارى إلى اسم هذا الباب وموقعه ومشيده فى أكثر من موضع . فمرة يذكره بمناسبة حديثه عن زوايا مدينة سبته

بقوله (ومن الزوايا الزاوية الكبرى التى أسسها السلطان الأشهر مولانا أبو عنان بن أبى الحسن بخارج باب فاس أحد أبواب أفراك)(٥٦) .

ومرة أخرى يشير إليه بمناسبة حديثه عن أبواب المدينة ، فيؤكد أنه كان أحد أكبر أبواب قصبة أفراك ، وفى هذا الصدد يقول (وأبواب أفراك ثلاثة أكبرها باب فاس الذى وضعه السلطان أبو الحسن المرينى ، بانيه على شكل باب السبع من فاس الجديد كرسى مملكته وعلى مثاله)(٥٧) ومرة ثالثة يشير الأنصارى إلى هذا الباب فيقول (وبخارج باب فاس من أبواب أفراك المذكور سبقتان سبقة(٥٨) من ألف باع ومائتين وسبقة من ألف باع)(٥٩) .

وإذا فحصنا بقايا هذا الباب التى لا تزال قائمة بين أسوار حديثة بنيت فى العهد البرتغالى(٦٠) نلاحظ أنه كان يحظى بمظهر الحصانة والفخامة التى تتجلى فى ضخامة واجهته التى يتوسطها فتحة متسعة يكتنفها من الخارج على الجانبين بروزان أو كتفان يبدوان من ضخامتها أشبه ببرجين مبنيين بقطع حجرية منتظمة الشكل . أما بنية جدران الباب ، فتشير بقاياه إلى أنه كان مشيداً بالدبش والآجر المصقول والمنتظم فى صفوفه .

ويقارن الأستاذ بافون مالدونادو بين هذا الباب وبين غيره من الأبواب الموحدية ، فيؤكد أنه كان مطابقاً فى تصميمه لبعض الأبواب الموحدية ذوات المداخل المستقيمة المقسمة إلى ثلاثة ممرات متتابعة فى خط محورى(٦١) . ويذكر بأن هناك تطوراً واضحاً طرأ على نظام العمارة الحربية المغربية ، بتأثير من الأندلس. فنظام هذا الباب يعد امتداداً للتقاليد الموحدية وتطوراً لما وصلت إليه العمارة الحربية فى عصر بنى نصر من حيث تطبيق فكرة نظام التقسيم الثلاثى المدرج فى تتابع(٦٢) الذى طبق على نحو رائع فى العديد من أبواب غرناطة لاسيما باب السلاح(٦٣) والعدل(٦٤) .

وبوجه عام يعد باب فاس رغم تهدم أجزاء كثيرة منه الوحيد بين أبواب المدينة الذى لا يزال فى حالة أقرب ما تكون إلى حالته الأصلية فلولا آثار هذا

الباب ما كنا قد عرفنا شيئاً عن أبواب سبته الإسلامية التى تهدمت فى جملتها ، وأقيم مكانها أبواب حديثة .

٣ – الباب الجديد أو الأعظم :

كان يقع هذا الباب فى الجهة الشمالية الغربية من سور المدينة على مقربة أيضاً من قصبتها(٦٥) . وكان يمثل حلقة الوصل بين مدينة سبته وربضها الخارجى، حيث يقع على مشارف الطريق المؤدى إلى ذلك الربض(٦٦) .

ويصف الأنصارى هذا الباب بقوله (وعدد الأبواب خمسون باباً ، منها الباب الأعظم الشهير الضخم ، والهيكل الذى لا يلقى له نظير ، المعروف بالباب الجديد . هذا الباب من مفردات سبته، ومن آثار الملوك بها اكتنفته قلهره(٦٧) ، عظيمة البناء هائلة المنظر ، سامية فى الجو ، قد استقلت على عشرة قباب وأربعة عشر قوساً . وبابه الأوسط بين قلهرتين ثنتين بارزتين من القلهرة العظمى . والباب فى اتساعه والارتفاع قد أربى على الغاية وجاوز الحد والنهاية . وقوسه وفياصله قد أحكم بناؤها بالكذان بأعجب صفة وأبدع واتقان(٦٨) .

ويبدو من وصف الأنصارى لهذا الباب وأسلوب بناءه أنه كان أكبر أبواب سبته الحربية ،وأكثرها فخامة وضخامة ، وبذلك صحت تسميته بالباب الأعظم . كما يفهم أيضاً من وصف الأنصارى لهذا الباب بأنه كان يتألف من فتحتين إحداهما تؤدى إلى خارج المدينة ، وكان يكتنفها برجين بارزين عن البرج الذى يحمى الفتحة التى تؤدى إلى داخل المدينة .

وإذا كان وصف الأنصارى السابق لهذا الباب هو الشاهد الوحيد لما كان عليه فى العصر الإسلامى ، إذ اختفى فى الوقت الحاضر بين أطلال المدينة بحيث لا نستطيع التعرف على شكله المعمارى ونظامه التخطيطى ، فإن الأستاذ كارلوس جوثابلس استطاع أن يرسم صورة تقريبية افتراضية لهذا الباب(٦٩) من خلال بعض بقاياه التى تم الكشف عنها ، فضلاً عن الرواية البرتغالية التى دونها المؤرخ البرتغالى

جوميث ايانيش دى ازورارا ، Gomez Ennes de Azurara والتى تحكى قصة غزو البرتغاليين لمدينة سبته على يد الملك البرتغالى خوان الأول . وقد اعتمد الأستاذ كارلوس على الأحداث التاريخية التى ساقها ازورارا والتى تؤكد أن جيوش البرتغاليين قد دخلت مدينة سبته عبر باب مكون من ثلاثة مداخل(٧٠) تتصل فيما بينها عن طريق ممر منكسر مقسم من الداخل إلى ثلاثة أقسام متتابعة ، يقطعها ساحتان أو رحبتان(٧١) يشغلها غرف مقببة ، يفصلها فى مراحل أو مسافات منتظمة جدران بها فتحات معقودة تؤلف فيما بينها ممرات جانبية بها شرفات صغيرة، تمكن المدافعين عن الباب من قذف العدو بالسهام والمواد الملتهبة(٧٢) .

وتجدر الإشارة إلى أن الأستاذ تراس نسب هذا الباب إلى بداية القرن ٦هـ/١٢م(٧٣) ، وقيّمه بأنه كان من نوع الاستحكامات الضخمة التى تمتاز بقيمتها العظيمة فى الدفاع عن المدن ، لاشتمالها على العديد من النقاط الدفاعية، مثل الممر متعدد الانكسار ، والأبراج الضخمة التى تحيط بفتحة الباب . ومثل هذا النوع من الأبواب فى رأى تراس يماثل الأبواب المرابطية وأبواب عصر بنى مرين ، وإن كان ارتفاعه الهائل يجعله قريب الشبه بأبواب عصر بنى نصر فى القرن ٨هـ/١٤م (٧٤) .

ثانياً : الأبواب ذات الطابع المدنى :

يقتصر استخدام هذا النوع من الأبواب على أوقات السلم ، فليس لها أية قيمة حربية وتنحصر وظيفتها فى تسهيل مهمة الاتصال بين العمران الداخلى للمدينة من حيث إفساح الطريق أمام المارة أو القوافل التجارية ، أو لتصريف مياه الأمطار . ويستدل من أسماء أبواب سبته ذات الطابع المدنى التى زودنا بها الأنصارى أن بعضها كان يتسمى عادة باسم المنطقة المؤدية إليها مثل باب الفرج(٧٥) وباب المينا(٧٦) وباب الزلاقة(٧٧) أو بأسماء أصحاب الحرفة التى يزوالها سكان تلك المنطقة مثل باب المشاطين(٧٨) وباب الحلويين(٧٩) وباب الحلفاويين(٨٠) وباب القصابين(٨١) .

ومن أهم ما أمدنا به الأنصارى أيضاً من معلومات عن أبـواب مدينـة سبته ذات الطابع المدنى ، ذكره لخمسة أبواب كـانت تنفتـح فـى سـور الربـض الـبرانى الذى هدمه السلطان أبو سعيد(٨٢) .

وفى ضوء الإشارة السابقة نستطيع أن نقرر حقيقة مـا ذكـره العلامـة ليفـى بروفنسال بأنه قد تنمو خارج هـذه الأبـواب (أى أبـواب المدينـة بنوعيهـا الحربـى والمدنى) . أرباض تزدهر عبر مرور السنين ، وتنتهى بالاندماج فى المدينة ، فيبنى سور جديد أوسع يضم هذه الأرباض فتصبح بدورها حومات ، وفى هذه الحالة لا يحدث تعديل فى أسماء الأماكن وقد يهدم الباب بعد انعدام سـبب وجـوده ، وقـد يهدم السور الذى فتحت فيه الأبواب أيضاً ، ولكن الأسماء تظل باقية(٨٣) .

ثانياً : أرباض سبته فى نص الأنصارى

المقصود بالربض البؤرة العمرانية أو الضاحية التى تقع خارج أسوار المدينة ، والتى تنشأ غالباً نتيجة اتساع العمران داخل نطـاق المدينـة ، وفيضـه إلى خارجهـا بعد تسويرها . وفى بعض الأحيان تطلق لفظة ربض خطئاً على الأحياء الداخليـة الواقعة داخل النطاق المسور للمدينة ، حتى ولو كانت قريبة جدا من مركز المدينـة العمرانى ، وليست كما تعنى هذه الكلمـات فـى معناهـا المتعـارف عليـه وهـو أن الربض يكون خارج النطاق المسور للمدينة وليس بداخله .

وقد فسر الأستاذ توريس بلباس هذا اللبس فى استعمال كلمـة ربـض هـذه فى غير موضعها بأن هذه الكلمة - وهى كلمة حى أو حارة- تطلق بصفـة عامـة على المواضع المبهمة غير المحددة بحدود معينة ولذلك نشأ الخلط بين كل منهما(٨٤).

وعن أرباض مدينة سبته يقول الأنصارى (وعدد الأرباض فى الحقيقة ستة: الثلاثة العامرة المتصلة بالبلد ، والربض الـبرانى حيـث الحـارة(٨٥) والكسـابون(٨٦) الذى هد سوره السلطان أبو سعيد المرينى من حافة (٨٧) الغد إلى مضرب الشبكة)(٨٨) .

ويكشف نص الأنصارى عن حقيقة ما ذكرناه آنفاً من أن لفظة ربض كانت أعم وأشمل من كلمة حبى ، وأن هناك خلطاً بين الاصطلاحين بحيث أصبحت كلمة ربض تطلق على الأحياء الداخلية . ومن أمثلة ذلك الخلط ما ذكره الأنصارى عن الربض البرانى تميزًا له عن الأرباض الداخلية المتصلة بالبلد .

ويفهم من نص الأنصارى أيضاً أن الربض البرانى كان محاطاً بسور لحمايته من الأخطار الخارجية ، ويبدو أن هذا السور قد فقد أهميته بمرور الزمن بعد اتساع النطاق العمرانى للمدينة واندماج الربض داخل المدينة ، وهو الأمر الذى دعى السلطان أبا الحسن إلى هدم السور المذكور حسبما نص على ذلك الأنصارى.

وللأسف ليس فى إمكاننا أن نعرف على وجه التحديد مواقع الأرباض الستة التى أشار إليها الأنصارى وأسماءها ، وإن كان قد ذكر فى أكثر من موضوع فى ثنايا وصفه لمعالم مدينة سبته اسم ربضين هما : الربض الأسفل والربط الأوسط ، فضلاً عن الربض البرانى سالف الذكر . ويستدل من اسم الربضين الأولين (الأسفل والأوسط) على وجود ربض ثالث علوى لم يذكره الأنصارى ، لعله ربض زكلو الذى ورد ذكره فى المدونات البرتغالية فى سياق عرضها لسقوط سبته فى أيدى البرتغاليين(٨٩) وبذلك يكتمل عدد الأرباض الثلاثة المتصلة بالبلد التى حسب نص الأنصارى كانت عامرة بالمنشآت ، لاسيما الأسواق ، حيث كان يوجد بها وحدها ٣٢ (اثنان وثلاثون سوقاً) . من مجموع ١٧٤ (مائة وأربعة وسبعين سوقاً) وهو عدد أسواق المدينة كلها(٩٠) .

وإذا كان الأنصارى لم يشر إلى مواقع الأرباض الستة التى ذكرها ، ولم يزودنا بأية تفاصيل عنها ، فإن أحد المصادر البرتغالية عوضتنا عما أغفل الأنصارى بشأن مواقع تلك الأرباض ، حيث أمكن الأستاذ كارلوس جوثابلس أن يرسم صورة تقريبية لمواقع الأرباض الثلاثة التى أشار إليها الأنصارى من خلال رواية المؤرخ البرتغالى ازورارا Azurara فمن خلال الوصف التفصيلى الدقيق لأحداث

المعارك التى دارت بين البرتغاليين وأهل سبته داخل تلك الأرباض ، استنتج بأن تلك الأرباض كانت تقع فى القطاع الأوسط من المدينة ، والمحصور بين سورين يمتدان شرقاً وغرباً ، ويصل بينهما سور أوسط يفصل بينهما ، ويحدد النطاق العمرانى للأرباض الثلاثة(٩١) . وكان ينفتح فى السور الشرقى بابان الأول مشار إليه فى المخطط الذى وضعه جوثابلس برقم (٢) ، ويعرف بالباب العلوى والثانى مشار إليه برقم (٣) ويعرف بالباب السفلى ، ومن هذين البابين حسب رواية ازورارا دخلت جيوش البرتغاليين إلى أرباض المدينة الثلاثة(٩٢) .

وقد أشاد الأنصارى باتساع عمران أرباض سبته ، وكثرة مبانيها الجنائزية التى كانت لها مكانة روحية ودينية فى نفوس أهل سبته ، لما تضمه من قبور العلماء والفقهاء . فيذكر بأنه كان فى الربض السفلى قبر الشيخ الفقيه الحافظ أبى الربيع سليمان بن سبع العجيسى(٩٣) مؤلف شفاء الصدور(٩٤) .

وفى الربض الأوسط كانت توجد مقبرة الشريعة ومن أشهر مقابرها قبر الشيخ الصالح العابد أبى عبد الله القرمونى من أهل سبته ، وقبر الفقيه القاضى أبى الحسن ، وقبر الإمام الصوفى أبى محمد عبد الجليل الأوسى الأندلس(٩٥) .

كذلك يشير الأنصارى إلى وجود العديد من المبانى الدينية ، والأسواق التجارية ، والصناعية ، بتلك الأرباض ، مثل خزانة جامع الربض الأسفل(٩٦) ، وسوق العطارين(٩٧) فضلاً عن مصليات الأرباض التى كانت تقع فى أرض عظيمة الاتساع(٩٨) .

ثم يوضح الأنصارى بعد ذلك أن تلك الأرباض كان يفصلها عن بعضها البعض حفائر(٩٩) مثل الحفير الكبير المحيط بالربض البرانى ، والحفير بينه وبين الأرباض الثلاثة من الشطابين(١٠٠) إلى مضرب الشبكة ، والحفير الهائل المعروف بالسهاج(١٠١) الفاصل بين الأرباض والمدينة(١٠٢) .

ثالثاً : الأزقة :

من الثابت أن معظم الشوارع الرئيسية بمدن المغرب الإسلامى تمتاز بضيقها وتعرجها وتتفرع من تلك الشوارع شبكه من الأزقة والدروب والزنقات بعضها نافذ ومعظمها غير نافذ(١٠٣) .

وقد أخبرنا الأنصارى بأن عدد أزقة مدينة سبته كان ٢٥٠ (مائتا زقاق وخمسون)(١٠٤) . كما حفظ لنا العديد من أسماء تلك الأزقة المندثرة . مثل زقاق ابن عيسى(١٠٥) وبنى العزفى ، وغيرهم من أعلام الفقهاء وأكابر التجار ، وزقاق أبى عبد الله القاضى الزاهد من أشياخ القاضى عياض . وزقاق ابن يربوع(١٠٦) . وزقاق العزفى أبى العباس وزقاق أبى على ابن الشراك وأبى القاسم ابن الشاط(١٠٧) وزقاق خطاب(١٠٨) .

وفى ضوء ما ذكره الأنصارى من أسماء أزقة سبته يتضح أن معظمها كان يحمل اسم أعلام الأسرات التى كانت تعيش فيها واسم شخصية هامة . كما أن بعضها يحمل اسم المنطقة التى تقع بجوارها أو يوجد فيها أو يؤدى إليها الزقاق مثل زقاق الخندق الكبير الذى يعرف فى القديم بخندق المين(١٠٩) ويعرف الآن بخندق الدجاج(١١٠) .

ويضيف الأنصارى أن كل زقاق من العدد المذكور تنغلق عليه دروب ، وعلى تلك الدروب بيات تجرى عليهم الجرايات إلى غير ذلك (١١١) .

وفى الفقرة السابقة إشارة إلى الأمور المتعلقة بالتحكم فى تلك الأزقة وتوفير الآمان لسكانها عن طريق حراس لها يسمون بالدرابين(١١٢) .

ويفهم مما ذكره الأنصارى عن أزقة سبته أن بعضها كان من الاتساع بحيث كان يضم العديد من المنشآت مثل القصور والحمامات(١١٣) والأفران(١١٤) .

أما عن شوارع سبته الإسلامية فلم يرد فى نص الأنصارى أى ذكر لها غير أن الدراسات الطبوغرافية الحديثة المعتمدة على المصادر الأسبانية والبرتغالية المتعلقة

باسترداد المدينة أكدت على أن بعض شوارع سبته كانت موجودة على هيأتها فى العصر الإسلامى ، واحتفظت بأسمائها العربية بعد الاسترداد البرتغالى للمدينة وتوزيع عقاراتها على النصارى البرتغاليين . ومن أهم تلك الشوارع ، الشارع الكبير الذى كان يخترق الجهة الشرقية من المدينة والمعروف الآن باسم شارع Sanjurjo(١١٥) ، ومن هذا الشارع كان يتفرع زقاق أبى عيسى المعروف الآن باسم الطريق الأعظم Gran via (١١٦) والذى كان يقسم المدينة إلى قسمين أو شطرين حسب نص الأنصارى(١١٧) .

وفضلاً عن هذا الشارع كانت تشتمل المدينة على شارعين متعامدين يؤلفان محوري المدينة ، أحدهما كان يطلق عليه شارع العطارين والمعروف حالياً باسم شارع خاودينس Calle jaudenes (١١٨) والآخر كان يسمى بشارع الموثقين أى كتاب الوثائق Calle de los Notarior(١١٩) والمعروف حالياً باسم شارع سان اودنيا Calle de O'donnell(١٢٠) .

ويفيد الباحث كارلوس جوثابلس بأن هذين الشارعين كانا يخترقان القطاع الشمالى الشرقى من المدينة ، ويمتدان إلى مسجدها الجامع ومدرستها المعروفة بالمدرسة الجديدة(١٢١) . وكانت المنطقة التى يشقها الشارعان المذكوران من أهم أحياء المدينة إذ تضم العديد من المنشآت الدينية والمدنية الملتفة حول مسجد المدينة الجامع والذى تتفرع من ساحته الحارات والدروب المؤدية إلى معظم أحياء المدينة(١٢٢) .

رابعاً : المراكز العمرانية بمدينة سبته :

١ - المراكز الدينية :

كانت مدينة سبته فى العصر الإسلامى تضم عدداً من المنشآت الدينية من مساجد ومدارس وأربطة وزوايا ، بحيث شكلت تلك المنشآت نصيباً كبيراً من التكوينات المعمارية لمدينة سبته الإسلامية ، تدل عليه الإحصاءات التى أوردها الأنصارى لتلك المنشآت . وفيما يلى دراسة لأهم هذه المنشآت الدينية حسب ترتيب ذكر الأنصارى لها .

- المساجد :

يصور لنا الأنصارى أهمية المساجد وكثرتها بمدينة سبته بقوله (وعدد المساجد ألف مسجد . وأعظم هذه المساجد وأشرفها على التحقيق المسجد الجامع العتيق . بلاطاته اثنان وعشرون بلاطاً وبقبلتها شمسيات من الزجاج الملون بصناعات شتى معقودة بالرصاص ، والقنوات الفاصلة بين البلاطات ومجارى القسائم والميازيب من الرصاص كذلك . ودرجات المنبر اثنتا عشرة درجة(١٢٣). وتميز عن سائر جوامع بلاد المغرب كلها بالبلاط الأوسط الضخم والبناء المرتفع السمك ، وبالمقصورة الهائلة الغريبة الشكل(١٢٤) . وبه صحنان ، أحد الصحنين أكبر من الآخر وبكل واحد منهما جبان اثنان ، وصومعته قديمة من عمل الأوائل)(١٢٥) .

ومن أهم ما يمكن تسجيله من ملاحظات على النص السابق ما يلى :

١ - أنه على الرغم من مغالاة الأنصارى فى تقدير أعداد مساجد سبته فإن ذلك يبين مدى كثرتها . ويمكن تحديد العدد الضخم الذى ذكره الأنصارى لمساجد سبته بأنه يشمل المصليات الملحقة بالمنازل العامة .

٢ - لم يشر الأنصارى إلى موقع الجامع بالنسبة لعمران سبته أو الأصل الذى أقيم عليه ، ولا إلى تاريخ تشييده . وعلى الرغم من ذلك نستطيع بفضل الإشارات التاريخية المقتضبة التى أمكن استخلاصها من المصادر العربية والمدونات المسيحية الأسبانية والبرتغالية ، أن نجيب عما أغفل ذكره الأنصارى . فالنسبة لموقع الجامع فأغلب الظن أنه كان يقع فى وسط المدينة(١٢٦) فى نفس الموضع الذى تشغله الكاتدرائية الحالية على مقربة من البحر . ويؤكد هذا الافتراض إشارة أحد المدونات البرتغالية الخاصة بالاسترداد البرتغالى للمدينة فى سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م . وفى ذلك يقول المؤرخ البرتغالى جوميث ايانيس دى ازورارا (وفى اليوم الثالث والعشرين من

شهر أغسطس قام ملك البرتغال بتحويل المسجد الجامع بمدينة سبته إلى كنيسة كاثوليكية وأقيم فيها حفل كبير وصلاة شكر فى يوم الأحد التالى ١٤١٥/٨/٢٥م وجرى فى ذلك الحفل ترسيم أبناء الملك الثلاثة حسب رغبتهم فرساناً) .

ويضيف أزورارا أن المسجد المذكور كان مفروشاً بالحصير وفقاً لما هو متبع فى عادة المسلمين من فرش أرضية مساجدهم بنبات الحلفا . وأنه عندما تم استرداد المدينة والاستيلاء على المسجد لم ينزع هذا الحصير وإنما أضيف إليه حصير جديد فوق الحصير القديم (١٢٧) .

أما عن أصل البقعة التى أقيم عليها جامع سبته فكان موضعه الأول كنيسة بيزنطية ، هدمها فيما يبدو الفاتحون المسلمون ، وأقاموا على أرضها مسجدهم الجامع . ونستند فى ذلك على نص رواه البكرى فى ذكر مدينة سبته نصه (ومدينة سبته مدينة قديمة سكنها الأول . وبها آثارهم بقايا كنائس وحمامات وماؤها مجلوب من نهر آويات مع ضفة البحر القبلى فى فناء إلى الكنيسة التى هى اليوم الجامع)(١٢٨) .

وأما عن تاريخ جامع سبته فيكتنفه الغموض . ولعل قلة ما أورده مؤرخو العرب عن هذا الجامع كان سبباً فى أننا لا نعرف على وجه التحديد تاريخ أو أسماء العرفاء الذين أشرفوا على بنائه . ومع ذلك فمن الممكن أن نضع تاريخاً تقريباً لهذا الجامع بفضل نص أورده الأستاذ خواكين بالبين جاء فيه أن الخشنى صاحب كتاب تاريخ قضاة قرطبة الذى عاش السنوات الأولى من حياته فى القيروان ، كان قد خرج منها إلى الأندلس ، وفى طريقه إلى الأندلس مر على سبته فى عام ٣١٢هـ/٩٢٤م وفيها تعلم أصول الفقه وشارك فى تصحيح اتجاه قبلة مسجد سبته التى كانت منحرفة عن الاتجاه الصحيح(١٢٩) . ومعنى ذلك أنه شرع فى تشييد هذا الجامع فى التاريخ المشار إليه أو قبله بقليل .

ويبدو أن جامع سبته ظل موضع اهتمام الأمراء والخلفاء الذين تناولوه بالزيادة والتعديل على مر العهود ، حيث أن سنة ٤٨٤هـ/١٠٨٧م تسجل تاريخ قيام الأمير يوسف بن تاشفين بالزيادة فى جامع سبته . وفى ذلك يقول صاحب كتاب الحلل الموشية (ولما كان سنة ٤٨٤هـ تحرك يوسف بن تاشفين إلى سبته لجواز عساكره اللمتونية إلى الأندلس لمنازلة ملوك الطوائف وحصار بلادهم . وفى أثناء مقامه بها أمر ببناء المسجد الجامع بسبته والزيادة فيه . فزاد فيه حتى أشرف على البحر وبنى البلاط الأعظم منه)(١٣٠) .

وقد أورد ابن عذارى نص أخر أشار فيه إلى الزيادة المذكورة بقوله (وكان يوسف بن تاشفين أمر القاضى محمد بن عيسى ببنيان جامع سبته وزاد فيه حتى أشرف على البحر وكان بنيانه عام واحد وتسعين)(١٣١) .

ومن الملاحظ أن ابن عذارى لم يكمل تاريخ البناء حيث أشار إلى التاريخ المذكور (٩١) ضمن حوادث عام ٥٢٨هـ/١١٣٣م . والراجح أن تاريخ هذه الزيادة حسب نص ابن عذارى كانت سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م على أساس أن يوسف بن تاشفين توفى فى سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م(١٣٢) .

وأيا ما كان اختلاف النصين المذكورين فى تحديد تاريخ الزيادة المذكورة فإن الذى لاشك فيه أنها تمت فى عهد يوسف بن تاشفين ، وأنها نفذت من الجهة الجنوبية أى من جهة جدار القبلة حيث كان يطل الجامع من هذه الجهة على بحر أبى السول فى الشاطئ الجنوبى كما أن الأمير يوسف بن تاشفين هو الذى أقام البلاط الأوسط الضخم المرتفع السمك حسب وصف الأنصارى(١٣٣) أو الأعظم كما يسميه صاحب الحلل الموشية(١٣٤) .

ويفهم من وصف الأنصارى للبلاط الأوسط بمسجد سبته أنه كان أكبر بلاطات الجامع وأكثرها ارتفاعاً ، وأن هذه ميزة ميزت جامع سبته عن جوامع بلاد المغرب كلها . والحقيقة غير ذلك ، لأن ظاهرة ارتفاع البلاط الأوسط واتساعه عن بقية البلاطات تمثلت فى العديد من المساجد المغربية والأندلسية قبل

جامع سبته ، مثل جامع القيروان والزيتونة وقرطبة . كما طبقت أيضاً فى قصور عصر الخلافة التى تتبع فى تخطيطها نظام البلاطات . وعلى هذا فإن تلك الظاهرة تعد من الظواهر الهامة التى تميزت بها أغلب عمائر المغرب والأندلس الدينية والمدنية بحيث أصبحت الطابع المميز لتخطيط تلك المنشآت(١٣٥) . وتجدر الإشارة إلى أن جامع سبته قد تعرض لزيادة أخرى على يد القاضى عياض(١٣٦) وذلك فى سنة ٥١٥هـ/١١٢١م(١٣٧) .

وتصمت المصادر العربية خلال القرون الثلاثة التالية وحتى سقوط مدينة سبته فى أيدى البرتغاليين عام ٨١٨هـ/١٤١٥م عن ذكر شىء عن هذا الجامع بحيث يعد وصف الأنصارى سالف الذكر هو الشاهد الوحيد لما كان عليه جامع سبته بعد احتلالها بنحو سبع سنوات (٨٢٦هـ/١٤٢٢م) . وهو تاريخ تأليف الأنصارى لكتابه موضوع الدراسة والذى أكد فيه بأن بلاطات الجامع قد بلغت اثنتين وعشرين بلاطة(١٣٨) .

ولا يجب أن نترك ماذكره الأنصارى دون مناقشة ، لأن الرقم الذى أورده بشأن عدد بلاطات الجامع مبالغ فيه . وأغلب الظن أن هذا الرقم يمثل عدد الأساكيب الممتدة بعرض الجامع وليس عدد البلاطات أو الأروقة الطولية ، لأنه لو صح هذا الرقم (٢٢ بلاطة) لأصبح الجامع ، عميقاً جداً(١٣٩) . كما أن البكرى الذى وصف الجامع فى عصر المرابطين ، وهو العصر التى تمت فيه زيادة كل من الأمير يوسف بن تاشفين والقاضى عياض أشار بأن الجامع كان يتألف من خمس بلاطات فقط(١٤٠) . ومهما بلغ عدد البلاطات التى أضيفت للجامع فيما بعد فمن المستبعد أن يصل عددها إلى أثنين وعشرين بلاطة . لاسيما وأن هناك مساجد أخرى فى بلاد المغرب والأندلس تعرضت لزيادات عديدة على مدار عهود متباينة. ومع ذلك لم يصل عدد بلاطاتها إلى هذا العدد الذى ذكره الأنصارى . ومثال ذلك جامع القيروان أكبر المساجد الجامعة الباقية وأعظمها مظهراً ، كان يتألف بعد أن بلغ منتهاه من سبع عشرة بلاطة تمتد على عشرة أساكيب(١٤١) وكذلك

جامع الزيتونة الذى بلغ عدد بلاطاته (١٥) خمس عشرة بلاطة(١٤٢) وأيضاً جامع قرطبة الذى على الرغم من عظم مساحته لم تزد عدد بلاطاته عن ١٩ تسع عشرة بلاطة(١٤٣) .

مساجد أخرى جامعة وغير جامعة بمدينة سبته :

وإلى جانب جامع سبته الكبير كان يوجد بالمدينة جامعان آخران هما مسجد زكلو أكبر مساجد سبته بعد المسجد الأعظم حيث كان يتألف من سبع بلاطات ، وقد بناه أبو القاسم العزفى صاحب سبته(١٤٤) وجامع التبانين الذى كانت تقام فيه صلاة الجمعة ، وكان يقع فى ربض المدينة السفلى(١٤٥) .

ونضيف إلى تلك المساجد الجامعة عدد آخر من المساجد غير الجامعة التى كانت تزخر بها مدينة سبته فى العصر الإسلامى ، والتى اندثرت شأن مساجدها الجامعة ولم يعد لها أى أثر ولم يرد بشأنها أية إشارات لافى المصادر أو فى المدونات المسيحية ، وإن كان الأنصارى قد زودنا بأسماء بعضها مثل مسجد الحلفاويين(١٤٦) ومسجد المحلة(١٤٧) ومسجد القفال(١٤٨) .

- المصليات :

أشار الأنصارى إلى توافر المصليات خارج أسوار مدينة سبته ، حيث بلغ عددها ستة مصليات(١٤٩) وقد دلت أوصاف الأنصارى لتلك المصليات على حسن تصرف المعمار ، وإقامة نماذج منها مختلفة عن بعضها البعض ، بسبب اختلاف مساحتها وموقعها ووظيفتها . فالمصلى الكبير أو مصلى المدينة أتاح موقعه المتميز خارج أسوار المدينة فى مساحة واسعة فرصة استخدامه كمصلى للعيدين جرياً على سنة الرسول فى إقامة الصلاة فى أماكن واسعة خارج المدينة(١٥٠) . كما أعطى هذا الموقع المتميز لهذا المصلى المتمثل حسب وصف الأنصارى فى أنه يقع فى موضع منقطع وسط البحر(١٥١) ميزة أمنية بحيث أوجبت الضرورة فى أوقات الحصار والفتن استخدامه للصلاة ، لما يتوفر فيه من

شروط أمنية قد لا تتوفر فى غيره من المساجد والجوامع التى كانت تتركز فى قلب المدينة(١٥٢) . ويتجلى أيضاً أثر الموقع والوظيفة فى اختيار مصليات سبته فى المصلى الملكى الذى كان خاصاً بسكان القصر الملكى (أفراك) من الأمراء والسلاطين وما يتبع هؤلاء من جنود وحراس(١٥٣) وفى تخصيص بقيه مصليات سبته حسب ما نص عليه الأنصارى لأهل الأرباض والقصبه(١٥٤) .

- المدارس :

بعد ما كانت جوامع سبته ومساجدها تؤدى مهمتها فى خدمة الدين والعلم صارت المدارس تبنى للمشاركة فى القيام بهذه المهمة . والغالب أنها كانت تقوم بمهمة التعليم والإسكان للطلبة الوافدين على سبته للتعلم على أساتذتها(١٥٥) فقد كانت مدينة سبته منذ القرن ٥هـ/١١م مركزاً مرموقاً للدراسات العربية الفقهية والطبية بفضل العناصر الأندلسية الوافدة إليها ، وهى العناصر التى تزايد عددها منذ أوائل القرن ٧هـ/١٣م .

وتزخر كتب التراجم بأسماء قضاة ومحدثين وقراء ومفسرين ونحويين من أبناء سبته من أصول أندلسية(١٥٦) .

ويمكن أن نستنتج من النصوص التاريخية أهمية مدينة سبته كمركز إشعاع ثقافى حيث أكد ذلك وصف البكرى لها فى قوله (إنها لم تزل دار علم)(١٥٧) كما يؤكده ابن الخطيب فى قوله (بأنها بصره علوم اللسان وخزانة كتب العلوم)(١٥٨) . وكذلك يبين المقرى المناظرات الأدبية التى كانت تجرى بين علماء سبته كالمناظرة التى جرت حول استعمال (ماذا) بين النحوى الشهير أبى الحسن ابن أبى الربيع وبين الأديب مالك ابن المرحل(١٥٩) .

ويكفى دليلاً على مكانة سبته العلمية أن الباعث على كتابة رسالة الشقندى فى فضائل أهل الأندلس كان الجدل الذى وقع فى مجلس صاحب سبته أبى يحيى ابن زكريا حول علماء الأندلس والمغرب(١٦٠) .

ويذكر الأنصارى مدرستين شهيرتين بسبته هما مدرسة الشيخ المحدث على الشارى الغافقى السبتى(١٦١) والمدرسة الجديدة التى ابتناها السلطان المرينى أبو الحسن(١٦٢) .

و لم يصرح الأنصارى بآية تفاصيل عن المدرسة الأولى التى بناها أبو الحسن الشارى ، على حين أفاض بعض الشىء فى وصف المدرسة الجديدة التى بناها أبو الحسن المرينى بقوله (والمدرسة الجديدة العظيمة البناء المتسعة الزوايا ذات الصنائع العجيبة وأعمدة الرخام والواحة المتعددة الغالية الثمن التى ابتناها السلطان أبو الحسن المرينى مخلد الآثار الدالة على شماخة الملك وعلو المقدار)(١٦٣) .

وفى موضع آخر يشيد الأنصارى بميضأة تلك المدرسة بقوله (وأبدعها صناعة وأحكمها بناء ميضأة المدرسة الجديدة تحتوى على بيوت ثمانية ومطهرة كبير(١٦٤) وفى كل منها نقير من الرخام(١٦٥) يصب فيها ميزاب من النحاس ، وفرش الجميع ألواح منجورة من الصخر ، وبوسطها صهريج مفروش بالزليج(١٦٦) الملون . وقبتها مؤلفة(١٦٧) ومن بعض صنائعها نور البابونج(١٦٨) يخاله الناظر إليه خلقة من أحكام الصناعة يجلب الماء إلى ذلك كله بالدواليب) (١٦٩).

ووفقاً لما أوردته الوثائق البرتغالية الخاصة بسقوط مدينة سبته في أيدى البرتغاليين فإن هذه المدرسة تحولت بعد الاسترداد مباشرة إلى دير ، وأنه قد أطلق عليها بعد تنصيرها اسم مصلى سنتياجو ermita de santiago(١٧٠) .

وفى عام ١٥٦٠م أقيم فى المدرسة مصلى آخر يبعد عن الأول الذى كان قد أقيم فى وسط المدرسة(١٧١) وقد ظلت المدرسة رغم تحويلها إلى عدة أديرة ومصليات مسيحية محتفظة بصورتها التى كانت عليها فى العصر الإسلامى ، حيث ورد ذكرها فى الأدب البرتغالى عام ١٦٤٨م (بأنها بناء عظيم من عمل المسلمين يضم ١٠ (عشرة) أعمدة من الرخام الأبيض ، قواعدها من الرخام الأسود وجدرانها منقوشة بزخارف رائعة . ولا يزال يتوج مدخلها - حتى بعد

تحويلها إلى دير - لوحتان من الرخام تتضمنان نقوشاً كتابية بالخط العربى نصها «الحمد لله. تم بحمد الله هذا البناء رجاء ثواب الله بأمر من أبى عنان سنة ٧٤٧هـ»(١٧٢) .

وإذا نظرنا إلى نهاية هذا النص الذى نقله الكاتب الأسبانى مسكرنيلاس Mascarenilas عن أحد المدونات البرتغالية ، يتضح أن ما ورد يشوبه الخلط والخطأ، حيث ذكرت الرواية أن السلطان أبا عنان هو الذى شيد المدرسة الجديدة على أساس أن ذلك مسجلاً بنقش كتابى كان لا يزال يتوج مدخلها حتى منتصف القرن ١٧م . وهذا يتعارض مع ما ذكره الأنصارى الذى أكد بأن المدرسة من بناء السلطان أبى الحسن . ويؤكد صحة ما ذكره الأنصارى أن التاريخ المسجل فى النص الكتابى لا يقع فى فترة حكم السلطان أبى عنان الذى كان قد ثار على أبيه أبى الحسن بتلمسان عام ٧٤٩هـ واستولى على المغرب الأقصى(١٧٣) ، فى حين يقع التاريخ المذكور ٧٤٧هـ فى النص الكتابى فى فترة حكم أبى الحسن . وعلى هذا فمن المؤكد أن هذه المدرسة قد شيدت فى عهد السلطان أبى الحسن واستكملت فى عهد ابنه أبى عنان الذى ربما حاول طمس أعمال أبيه . لاسيما وأنه قد ثار عليه فأزال اسم أبيه ووضع مكانه اسمه دون أن يغير التاريخ الأصلى.

وفى الربع الأول من القرن الثامن عشر الميلادى ، تم تجديد المدرسة بما فيها من أديرة ومصليات . ومع ذلك لم تمس التغيرات المتوالية جوهر البناء . ويقرر ذلك وصف Carrea de Franca أحد كتاب القرن الثامن عشر الميلادى لها بقوله (بأنها كانت عبارة عن قاعة مقسمة إلى ثلاثة أروقة تقوم على عمد وتيجان وقواعد من الرخام والحجارة السوداء) . كما وصف محرابها بأنه (ظل قائماً على حاله لم يحدث فيه شىء سوى أنهم جعلوا عليه صليباً)(١٧٤) .

مما سبق ذكره يتبين مدى إسهام أعمال الإضافات والترميم والهدم فى تشويه المدرسة الإسلامية وطمس معالمها التى تحتاج من أجل الكشف عنها إلى دراسات مبنية على حفائر علمية . وهذا أمر يصعب تحقيقه بعد أن أقيم مكانها

الآن مبنى حديث عبارة عن ثكنات للجند . ومن هنا فإن تصورنا لنظام المدرسة التخطيطى يبدو صعباً . ومع ذلك فقد قام الأستاذ كارلوس جوثالبس Carlos Gozalbes بوضع رسم افتراضى لتلك المدرسة(١٧٥) اعتمد فيه على أوصاف بعض الكتاب والرحالة من القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادى . فضلاً عن بعض الرسوم التوضيحية التى سجلتها الخرائط القديمة للمدرسة بعد تحويلها إلى دير أو مصلى كنسى .

وقد اعتمد الأستاذ كارلوس فى نظريته الافتراضية لتخطيط أو منظور المدرسة على تجريدها من كل الملحقات غير الإسلامية ، بحيث يبقى منها عناصر المدرسة الأصلية التى رجح أنها كانت تتألف من قاعة مكونة من ثلاثة أروقة عمودية على جدار المحراب الذى كان يقع فى الجهة الجنوبية من القاعة ، ويغطى الأروقة الثلاثة أسقف هرمية مسنمة تمتد من الغرب إلى الشرق . وتطل القاعة على بهو يتوسطه صهريج ، ويكتنف هذا البهو من جهاته الشرقية والغربية والجنوبية سقائف معقودة تشغلها حجرات لإقامة الطلبة . وخلف السقيفة الجنوبية توجد قاعة كبيرة للوضوء والاغتسال مغطاه بقبة نصف أسطوانية.

أما المئذنة فكانت تتوج الجهة الشمالية من المدرسة . وكان ارتفاعها حوالى ٢٥م وكانت تتكون من طابقين الأول مربع الشكل ينفتح فيه على مستويين نوافذ توأمية فى المستوى الأول من أسفل ومفردة فى المستوى الثانى من أعلى.

أما الطابق الثانى من أعلى فكان أصغر من الطابق الأول وهو على شكل مثمن يعلوه سقف أو خربوش مسنم.

ويضيف الأستاذ كارلوس بأن أبواب المدرسة كانت تنفتح فى جهتيها الشرقية والغربية(١٧٦) .

الأربطة والزوايا :

من المنشآت الدينية بمدينة سبته الأربطة[١٧٧] والزوايا[١٧٨] فمع شيوع وانتشار التصوف بتلك المدينة التى تكون فيها تفكير صوفى لم تنطفئ شعلته من سبته إلا بانتهاء السيادة الإسلامية عليها[١٧٩] .

أقيمت العديد من الربط والزوايا كمساكن للفقراء والزهاد والغرباء . وكان يتولى إنشاء تلك الربط والزوايا الحكام والأثرياء من أهل سبته . ويشيد الأنصارى بكثرة ما شيد بمدينة سبته من تلك الربط والزوايا بقوله(وعدد الروابط والزوايا سبع وأربعون زاوية ورابطة محازية للبحر من جانب الجنوب والشمال داخل المدينة والأرباض وخارجاً عنها. أضخمها بناء وأعظمها هيكلاً الرابطة المعروفة برابطة الصيد ، مربعة الشكل قائمة فى الهواء على اثنى عشر عموداً منها ثمانية من الرخام سبعة ساطعة البياض وواحد حالك السواد . والأربعة الباقية مبنية بالأجور تحت معاقد أركان القبة ، ولكل عمود منها خمسة أركان واستدارت بها ثمانية عشر سرجباً[١٨٠] فى أربع بلاطات وبابها مبنى بالكذان[١٨١] المنجور وتتصل بها دار للقيم بخدمتها)[١٨٢] .

وفى النص السابق عدة أمور هامة منها تحديده لمواقع ربط سبته على سواحلها الشمالية والجنوبية . وفى ذلك تأكيد لصفة تلك الربط ودورها فى حماية السواحل والثغور كنقاط حصينة على شواطئ البحر أو داخل البلاد ، تقوم بالدفاع عن المدينة فى المواقع الهامة منها أو تقوم بوظيفة نقط مراقبة يرسل منها التحذيرات والإنذارات بالخطر ، حيث كانت تزود هذه الربط بأبراج أو منارات عالية على مسافات تسمح بأن يرى الواحد منها الآخر ويمكن إرسال إشارات الإنذار من رباط إلى آخر بواسطة النار أو الدخان.

وهكذا نلاحظ أن ربط سبته لم يكن مقصود إقامتها فقط على السواحل وإنما داخل المدينة ، وفى الأرباض ، وذلك على غرار الربط الداخلية التى أقيمت على حدود مصر الجنوبية . ويتضمن النص السابق أيضاً صورة تقريبية لعمارة

الرباط ساعدت فى الكشف عن تخطيطه المربع ، ودلت فـى وضـوح علـى فخامـة بنائه وسعة مساحته وتباين ألوان أعمدته وتنوع ألوان بناته ما بين الرخـام والأجـر المستخدم فى صنع الأعمدة وحجر الكذان المستخدم فى تشييد بابه.

ومع أن الأنصارى أكد اسـتخدام القبـة كوسـيلة مـن وسـائل تغطيـة ربـاط الصيد سـالف الذكـر ، إلا أنـه لم يحـدد الشـكل الـذى اتخذتـه هـذه القبـة . وفـى تصورى أنها كانت من نوع القباب ذات الضلوع المتقاطعة التى شاع اسـتخدامها على نطاق واسع فى معظم عمائر المغرب والأندلس منذ ابتكارها فى زيادة الحكـم المستنصر بجامع فرجة وجامع قرطبة وعلى نطاق واسع فـى معظـم عمـائر المغـرب والأندلس . ويدعونى إلى إبداء هذا الرأى ما نستقيه من وصــف الأنصـارى الـذى أشار فيه إلى عقود ونوافذ القبة ، فربما قصد بالمعاقد والأركان هو أشكال الضلوع التى تتكون من خمسة عقود تقوم على أربعة أعمدة تحمل هذه العقود التـى يسـتند عليها غطاء القبة، وذلك على غرار قبة المحراب بجامع قرطبة التـى تقـوم علـى أثنـى عشر عموداً محاطاً بركائز فى قاعدة القبة تحمل رؤوس الضلـوع التـى تتكـون مـن أنصاف دوائر متقاطعة . كما أن كلمة شـرجباً تشـير إلى أن ضلـوع القبـة كـانت تترك فراغاً تنفتح فيه بقاعدة القبة ثمان عشرة طاقة مشبكة تشبه النوافـذ أو القنـاطر المدفوعة على عمد مندمجة فى ركائز قاعدة القبة .

ويذكر الأنصارى رباطاً آخر بسبته دون أن يوضح اسمه ، كان مجاوراً لرباط الصيد سالف الذكر ، ووصفه بأنه كان يضم فى وسـطه قـبر جاريـة لأحـد أمـراء الموحدين(١٨٣) . كما يذكر المقرى أن أبا الفضـل عيـاض بـن موسـى بـن عيـاض السـبتى - وكـان مـن قضـاة سـبته - قـد بنـى بجبـل المينـا رباطـا يعـرف برباـط العباد(١٨٤) .

- الزوايا :

أما عن زوايا سبته التى تقابل فى المشرق الخانقاوات ، فقد حفظ الأنصارى اسم واحدة منها فقط وهى الزاوية الكبرى التى ابتناها السلطان أبو عنـان بـن أبـى

الحسن خارج باب فاس لنزول الغربـاء . ولمـن اضطـر إلى المبيـت بهـا مـن التجـار وغيرهم . ثم ينتقل الأنصـارى إلى وصـف عمـارة تلـك الزاويـة فيشـير إلى عظمـة بنائها وكثرة زخارفها وتعدد مساكنها وروعة صومعتها(١٨٥) .

- ثانياً المراكز الاجتماعية :

المقصود بالمركز الاجتماعى القطاع العمرانى الذى تتركز فيه منشآت المدينة ذات السـمة الاجتماعيـة مثـل دور الإمــارة ودور العامــة والخاصــة والحمامــات والقناطر أو السواقى .

- دار إمارة سبته :

الواقع أن دراسة دار إمارة سبته وقصورها الملكيـة تعـد مـن الأمـور الصعبـة للغاية ، ويرجع ذلك إلى أسباب كثيرة نخص بالذكر منها اختفـاء تلـك المنشـآت ، كما أن الأنصارى وكذلك بقية المصادر العربية لا تتضمن أى وصف لهـا ، وتكـاد تقتصر معلوماتنا عن دار إمارة سبته على ما ذكره البكرى فـى سـياق حديثـه عـن المدينة بقوله (ودار الإمارة فى جوفى المدينة وطولها من السور الغربى الذى يدخـل منـه المدينـة قاطعـاً إلى أخـر الجزيـرة خمسـة أميـال . والمدينـة فـى الجـانب الغربــى منها)(١٨٦).

وأهـم ما نستنتجه من هذا الوصف تحديده بشكل واضـح لموقـع دار الإمـارة فى الجهة الشمالية من المدينة . كما يستشف منه مدى اتساع تلك الدار بحيث بلغ طولها من جهة سور المدينة الغربى خمسة أميال.

- قصر قصبة سبته (أفراك) :

من الجدير بالذكر أن أى بلد فى المغـرب الإسـلامى حـين يصـل إلى درجـة معينة من النمو ويتحول إلى مدينة وتصبح هذه المدينة قصبة إقليــم(١٨٧) ، وبالتـالى تصبح مقراً للعامل أو الأمير صاحب الكلمة فى المصـالح الإداريـة التـى لابـد منهـا لتيسير النظم المدبرة لشئون الحياة الاجتماعية فـى المدينـة . وكـان ممثلـو السـلطة

المركزية يقيمون عادة إلى جوار العامل أو الأمير القائم بولاية المدينة فى موقع يسهل منه الدفاع عن المدينة فى حالة تعرضها لأى عدوان خارجى ، ويتمثل ذلك فى قصبة المدينة أو حصنها المنيع . وفى داخل هذه القصبة كان يوجد القصر الملكى حيث مقر الإدارة والحكم(١٨٨) .

وكان لسبته قصبة أو كما يسميها الأنصارى وبعض المؤرخين المغاربة أفراك(١٨٩).

ويبدو أن هذه القصبة أقيمت فى نفس موضع دار الإمارة القديم التى أشار إليها البكرى ، وذلك بعد أن تطور عمران سبته فى عهد بنى مرين وأصبحت قصبة إقليم . ويستدل على ذلك من إشارة ابن خلدون إلى أن السلطان أبا سعيد المرينى هو الذى أمر ببناء البلد المسمى أفراك على سبته سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م(١٩٠) .

وباستثناء تلك الإشارة لا تتضمن المصادر العربية أى وصف لها كما أن منطقة القصبة المعروفة بأفراك اختفت الآن ، وذلك بعد حوالى عشرة سنوات من سقوط مدينة سبته في أيدى البرتغاليين (١٥٤٠-١٥٥٠م)(١٩١) .

ولعل اندثار هذه القصبة ٩٤٧هـ - ٩٥٧هـ كان من أهم الأسباب التى أدت إلى عدم اهتمام المؤرخين العرب بها ، لاسيما الأنصارى الذى لم يزودنا للأسف بأية تفاصيل عن موقعها أو نظامها التخطيطى . وإن كان الأستاذ كارلوس جوثابلس قد وفق بفضل دراسته لطبوغرافية مدينة سبته التى اعتمد فيها على بعض الخرائط والصور فى تحديد الشكل الذى كانت عليه قصبة سبته بما فى ذلك القصر الملكى الذى كان يتخذه حاكم سبته مقراً لولايته . فذكر أن قصبة سبته المعروفة بأفراك ، والتى أطلق عليها أسماء أخرى مثل المنصورة(١٩٢) . كانت تقع فى القطاع الشمالى الغربى للمدينة(١٩٣) وأنها كانت تتخذ شكلاً مستطيلاً ضلعه الغربى ، يؤلف جزءاً من أسوار حفير السهاج(١٩٤). وكان يدعم هذا الضلع أو السور الغربى من القصبة أربعة أبراج أوسطها أكبرها ، حيث أقيم هذا

البرج فوق برج آخر قديم أصغر منه ، وسقف هذا البرج مسنم . وكـان يتوسـطه باب مقبى يفضى إلى خارج المدينة . ومن خلال هذا الباب كان يمكن الدخول إلى القصبة والخروج منها دون الحاجة إلى اجتياز المدينة(١٩٥) .

أمـا السـور الشـرقى للقصبـة المـوازى للسـور الغربـى فكـان يدعمـه ثلاثـة أبراج(١٩٦) أوسطها أصغرها ، وهو البرج المعروف ببرج سابق Torre Sabek الـذى ذكره البكرى . وأكد على أنه كان يفتح به باب يدخل منه إلى دار الإمارة(١٩٧).

وفى ضوء إشارة البكرى السابقة والدراسـات الحديثـة التـى أجريـت حـول منطقة القصبة يتأكد صحة ما أشرت إليه سابقاً من أن القصبة وقصرها أقيمت فـى نفس موضع دار الإمام القديم.

ويضيف الأستاذ كارلوس جوثـابلس أن الضلعـين الشـمالى والجنوبـى كـان يطوقهما سورين يمتدان طولاً من الشمال إلى الجنوب . وأن هذين السـورين كانـا يضمان بداخلهما ساحة القصر ، ويفصلان فـى ذات الوقـت منطقـة القصبـة عـن أرباض المدينة الخارجية.

وهكذا يتضح من خلال الدراسة التى قام بها كارلوس جوثابلس أن منطقـة القصبة كانت تنقسم إلى قسمين : قسم شمالى شرقى يضم بداخله مبنى القصبـة أو الحصن . وقسم جنوبى غربى كان يضم القصر وساحته(١٩٨) . كمـا كـان يضـم وفقاً لما ذكره الأنصارى مسجداً كان يصلى فيه السلطان أبو الحسن بجيشه وحمـام ودار للإشراف على دار السكة(١٩٩) .

- الدور :

لم يصلنا أى أثر لدور سبته الإسلامية التـى تعـد واحـدة مـن أهـم المنشـآت المعمارية فى المركز العمرانى الاجتماعى . كما أن أخبار تلك الدور فى المصادر العربيـة يكتنفهـا الغمـوض بحيـث لا نستطيع التعـرف علـى المظـاهر العامـة لبنائهـا أو نظامهـا التخطيطى. وكل ما وصلنا من أخبار عن دور سبته الإسـلامية يكـاد يقتصـر علـى مـا زودنا به الأنصارى من إشارات متناثرة عن بعض دور المدينة دون أن يذكر أى وصف لها.

وأهم ما نستنتجه من هذه الإشارات عن هذه الـدور هـو أن المدينـة كـانت تكتظ بالدور الموزعة حول مسـجدها الجـامع ، وفـى الطـرق الرئيسـية والـدروب والأزقة والزنقات والحارات ، بحيث يبلغ عددها ما يزيد عن ٤٠ ألف دار(٢٠٠) .

وتتميز معظم هـذه الـدور باشتمالها على حمـام ومصلـى لتأديـة الصلـوات الخمس(٢٠١) .

كما تتميز جميعاً بأنها لا تخلو من المياه الجارية التى تعتبر من ضرورات الحياة المنزليـة . وكـانت جميـع دور سبته الخاصـة والعامـة تتصـل بشـبكة مـن الأنـابيب والقنوات لجلب المياه من الأودية والأنهار والآبـار ، بحيـث كـانت مسـاكن سبته بمياهها العذبة الدائمة على حد تعبير الأنصارى (لا تفتقر ولا تحتـاج إلى شـراء مـاء من سقاء حيثما كانت بأقطار المدينة) (٢٠٢) .

وبالإضافة إلى دور الخاصة والعامة كانت تقوم فى بعض الدروب والحارات التجارية مصريات وعليات(٢٠٣) وهى عبارة عـن دور صغـيرة للغايـة تتكـون مـن طابق واحد أو من غرفة واحدة تعلو فى الغالب حانوتاً أو مصنعاً أو فندقًا . وكان أهل المغرب والأندلس يكرونها للتجار الغرباء أو للعزاب من القومة والخدم . وفى بعض الأحيان كان أربـاب الحـرف يتخذونهـا لمزاولـة صنـاعتهم فقـط ، إذ كـانوا يبتون فى مساكن أخرى(٢٠٤) . وذلك بعكس ما كان معروفـاً عنـد الصنـاع فـى المشرق الإسلامى حيث كانت المصانع والورش تقام فى الطابق الأرضى فـى حـين كانوا يبتون مع أسرهم بالغرف العليا التى تعرف فى المشـرق بالعليـات وفـى بـلاد المغرب بالمصريات(٢٠٥) .

وقد طبعـت دور سبته بطابعهـا الاقتصـادى ، فكـانت تشـتمل بعـض دور الصناع على غرفة أو محل أو ورشة تزاول فيها أى صنعة من الصناعات التـى كـان يزاولها صاحب الدار . ويستدل على وجود مثل هذا النوع من الـدور مـن خـلال

إشارة الأنصارى إلى ورش التجارة المخصصة لعمل القسى بقوله (وعدد المنجـرات المعدة لعمل القسى أربعون منها عشرون بمنازل المسلمين والصناع كبنـى القنطرى وبنى العاقل وبنى ابن غالب وغيرهم)(٢٠٦).

- الحمامات :

أشار الأنصارى إلى كـثرة حمامـات سبته بقولـه (وعـدد الحمامـات العامـة المبررة للناس اثنان وعشرون حماماً)(٢٠٧) . كما أمدنـا بأسمـاء بعضهـا ، وبصـورة واضحة عن بعض المظاهر العامة لبنائها ، فيذكر أن من بينها (حمام القائد وهو أبـو على ناصح الذى كان بناؤه على يـده. وهـذا الحمـام بلـغ الغايـة فـى الكـبر يسـع المئين(٢٠٨) من الناس مرتفع السمك طيب الهواء قائم على أعمدة الرخـام مفـروش بالواحة الساطعة البياض . والمسلخ(٢٠٩) متسع الساحة له بابان اثنان ، وسقفه قبـه مؤلفة(٢١٠) متقنة على أربع حنيات . وبالصحن صهريج كبير مرتفع عن الأرض . وفى وسط الصهريج سارية بجوفة فوقها طيفور(٢١١) من الرخـام يصعـد المـاء فـى حوض السارية إلى أن يفور فى الطيفور ، وفيضه يملأ الصهريج . ومن الحمامـات ذات الرخام سواه بسبته حمام ابن عيسى ، وحمام اليانشتى وحمام عبود بناحيـة الميناء ، وهـو نظير حمام القائد فى الفخامة والهيكل ، وبمسالخها طيافير من الرخام على سـوار بجوفـة أيضاً فى وسط الصهريج على نحو ما وصفنـاه . وبالقصبـة عشـرة حمامـات سـوى العدد المذكور أبدعها حمام القصر . وبكل دار مـن ديـار سبته حمـام ومسـجد إلا القليل)(٢١٢).

وفى ضوء النص السابق والمطول للأنصارى عـن حمامـات سبته الإسـلامية يتضح ما يلى :

أولاً : أن الحمامات كانت تشكل عنصـراً مـن أهـم عنـاصر عمـارة المنـافع العامة أو منشآت المركز الاجتماعى ، حيث اكتظت بها شوارع وأحياء المدينة فى

شكل حمامات عامة ، كما حفلت بها بعض المنشآت كقصبة المدينة وقصرها ، وكذلك شيد معظمها داخل المنازل.

ثانياً : ساعد النص فى الكشف عن مدى فخامة بناء حمامات سبته وسعة مساحتها ومدى العناية بتكسية أرضيتها بألواح الرخام . كذلك أمدنا النص بصورة واضحة عن نظامها التخطيطى حيث أنها كانت من النوع الذى يتألف من أربع قاعات رئيسية مقباه (٢١٣) . وقد ركز الأنصارى بشكل أساسى على قاعة المسلخ فبين حدودها المتسعة وسقفها المقبى بقبة تقوم على أربع حنايا ركنية . ويستدل من وصفه لها بأنها كانت تعتمد فى تخطيطها على وجود فراغ مركزى أو صحن يتوسطه صهريج للمياه.

ويتجلى الاهتمام بتجميل هذه القاعة فى أنها كانت مزودة بحوض كبير يتوسطه فسقية ، وذلك على غرار الفساقى التى كانت تتوسط مسالخ حمامات المغرب والأندلس والتى بلغت أوج ازدهارها فى حمامات قصور الحمراء(٢١٤) .

- المنشآت المائية :

تعتبر عذوبة الماء من السمات التى تميز مدينة عن أخرى . ويمكننا أن نستنتج من النصوص المختلفة وروايات الجغرافيين أن مدينة سبته لم تكن تفتقر إلى الماء العذب منذ أقدم العصور . ويؤكد ذلك وصف ابن حوقل لها فى قوله (إن ماء سبته من داخلها يستخرج من آبارها كما أن فى خارجها أيضا آباراً كثيرة عذبة الماء)(٢١٥) .

وقد تنوعت أساليب تغذية مدينة سبته بالمياه . فالبكرى يقول (إن حمامات سبته يجلب إليها الماء على الظهر من البحر) . ويضيف فى موضوع آخر بأن الماء يجلب فى قناة من نهراويات على بعد ثلاثة أميال من المدينة على ضفة البحر القبلى إلى الكنيسة التى هى اليوم الجامع(٢١٦) .

كذلك يشير الإدريسى إلى وجود (عين ماء لاتجف البتـه بـأعلى الجبـل فـى وسط المدينة)(٢١٧) . وتشير الروايات التاريخية إلى مدى عناية حكـام سبته بجلـب الماء العذب إلى المدينة . ومن هذه الروايات ما ذكره صاحب كتاب الاستبصار من أن ثالث خلفاء الموحدين أبا يعقوب المنصورى أمـر سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م بجلـب الماء من قرية بليونش التى تبعد عنها بنحو (٦) سـتة أميـال وذلـك فـى قنـاة تحـت الأرض غير أن الأعمال لم تتم حتى سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م(٢١٨) .

وقد اكتسب أهل سبته خبرة عظيمة فـى استغلال مائهـا العـذب استغلالاً حسناً حيث أنشئت بها أنواع أخرى من المنشـآت المائيـة ، وهـى السـقايات التـى تساعد على خزن الماء العذب لسقاية الناس والحيوانـات ومـد كافـة مرافـق المدينـة بمصادر دائمة للمياه . وقد أشار الأنصارى إلى تلك السقايات بشىء من التفـاصيل بقوله (وعدد السقايات خمس وعشرون سقاية أبدعها صنعة ووضعاً السـقاية التـى بطرف العطارين وأول سماط العدول . وبـازاء بـاب الشـوائين مـن أبـواب الجـامع ذات الأنـابيب(٢١٩) النحاسية والألـواح الرخاميـة والزخرفـة والتنميـق . ومـن السقايات المعدة لسقى الدواب من الخيل وغيرها سقاية جب الميناء العظيـم الهيكـل المشهور ، الذى ابتناه الفقيه الرئيس أبو القاسم العزفى المذكور ، وخلده أثراً غريبـاً بعده رحمه الله . صهريجـان مشـتركان يمـد إحداهمـا الآخـر وقـد أحكـم الأسـفل والأعلى منهما فرشاً بألواح الصخر المنجور أتم إحكامه وأكمله . ومن ذلك سقاية القبة بالربض البرانى صهريج مستطيل متصـل ببـئر معينـة قريبـة التنـاول طيبـة المـاء عليها قبة على أربعـة أعمـدة وإلى جانبهـا آبـار متعـددة للسـبيل(٢٢٠) وربمـا تبلـغ الثمانين(٢٢١).

وفى ضـوء الوصـف السـابق يتضـح أن السـقايات التـى ذكرهـا الأنصـارى كانت عبارة عن صهاريج ضخمة شيدت بنظام دقيق يشهد بالبراعة وحسن التنفيذ بحيث كان يجرى توزيع الماء بتلك الصهاريج المعبر عنها بالسـقايات بحيـل هندسـية

دقيقة . ويتجلى ذلك فى إشارة الأنصارى إلى أسلوب من الأساليب التى يمكن بها تكثير مياه السقاية عن طريق جعل السقاية الواحدة تتكون من صهريجين متجاورين يمد أحدهما الآخر بالمياه . وهذه الطريقة استخدمت بكثرة فى حفر معظم آبار مدن الغرب الإسلامية لاسيما مدينة بجريط أو مدريد العربية . كما انتشرت فى الفسطاط فكرة حفر الآبار المتجاورة المتصلة ببعضها مع اختلاف مستوياتها بهدف تكثير الماء المستمد من جوف الأرض(٢٢٢).

ثالثاً – المراكز الاقتصادية بمدينة سبته :

إن أهل سبته بحكم موقع بلدهم على بحر الزقاق بين المغرب والأندلس توفرت لديهم إمكانيات اقتصادية هائلة ساعدت على ازدهارها التجارى والصناعى . ففى مجال التجارة عبر الجغرافيون والمؤرخون العرب عن هذا الازدهار فيما كتبوه عن سبته . فابن سعيد المغربى يشبه سبته بمدينة الإسكندرية فى كثرة الحط والإقلاع وفيها التجار الأغنياء الذين يتاعون المراكب بما فيها من بضائع الهند وغيرها فى صفقة واحدة(٢٢٣) . كما يذكر ابن الخطيب فى سياق وصفه للمدينة (أنها كانت محط قوافل العصير (زيت الزيتون)والحرير والكتان)(٢٢٤) ويتبين من رحلة ابن جبير أن سبته كانت نقطة البداية والنهاية للرحلات البحرية إلى المشرق(٢٢٥) .

ويبدو أن التجارة بين سبته وجنوة كانت نشطة ، وأن ثراء سبته من التجارة أطمع فيها الجنويين. ويستدل على ذلك مما ذكره ابن عذارى من أن الجنويين حاولوا الاستيلاء على سبته بالخديعة عام ٦٣٣هـ/١٢٣٤م ولكنهم فشلوا وانتهبت أموالهم التى فى فنادقهم ، ثم وقع الصلح وبموجبه عوض أهل سبته الجنويين عما فقدوه(٢٢٦). ويستدل أيضاً مما رواه المقرى على أن تجار جنوة كانوا يجلبون إلى سبته طرائف السلع . ويوضح ذلك قصة القائد أبى السرور صاحب ديوان سبته الذى أنعم على الأديب النحوى أبى عمران موسى الطريانى بتحف مما كان فى الديوان مما يجلبه الإفرنج إلى سبته(٢٢٧) .

هذا ويشير ابن بطوطه إلى أن التجار السبتيين كانت لهم علاقات تجارية مربحة مع الصين وبلاد السودان الغربى . ففى أثناء وجوده بمدينة قنجنفو بالصين قابل تاجراً من سبته وهو قوام الدين السبتى كان قد وصل إلى الصين وفيها عظم شأنه واكتسب الأموال الطائلة وبعد ذلك ببضع سنوات قابل ابن بطوطه أخا لهذا التاجر السبتى من السودان الغربى(٢٢٨) .

ونتيجة لهذا الازدهار التجارى الذى نعمت به مدينة سبته غزت أسواق مرسيليا الدراهم السبتية ، فكان تجار مرسيليا عن طريق وكلائهم من اليهود فى سبته يبيعون عملات عربية فى مونبليه(٢٢٩).

أما بالنسبة للصناعة التى تعتبر من أهم مصادر الثروة الاقتصادية لسبته فقد عرف أهل سبته كيف يفيدون من ثروة مياهها من المرجان الجيد الذى أمد المدينة بفائض من الإنتاج ، فكانت تصدره إلى الأندلس والمشرق والهند ، وذلك بعد تجهيزه تجارياً على هيئة قطع صغيرة تصنع منه الأوانى الطريفة(٢٣٠) .

وقد امتدح الأدريسى مرجان سبته وأشار إلى شهرتها فى إنتاجه وصناعته وتصديره بقوله (ويصاد بمدينة سبته شجر المرجان الذى لا يعدله صنف من صنوف المرجان المستخرج بجميع أقطار البحار . وبمدينة سبته سوق لتفصيله وحكه وصنعه خرزاً وثقبه وتنظيمه . ومنها يتجهز به إلى سائر البلاد)(٢٣١) .

وهكذا أدى الازدهار التجارى والصناعى الذى نعمت به مدينة سبته إلى العناية بتشييد العديد من المنشآت التجارية والصناعية بحيث شغلت تلك المنشآت أكبر مراكز المدينة العمرانية التى وصلتنا أخبار عنها . ويكفى لتأكيد هذه الحقيقة أن نطالع ما سجله الأنصارى من أوصاف لتلك المنشآت على النحو التالى :

١ – الأسواق :

المقصود بالأسواق الأماكن التى تتجمع فيها الحوانيت والمتاجر ويكثر فيها الباعة والتجار وأصحاب الحرف . ولم تكن أسواق مدن الغرب الإسلامى تقام فى موضع معين من المدينة ولكنها تتوزع فى عدة مواضع داخل المدينة وخارجها .

وتتنوع الأسواق بأنواع السلع التى تباع فيها من ذلك سوق العطارين وسوق النحاسين وسوق البزازين(٢٣٢).

وقد أشار الأنصارى إلى أسواق سبته الإسلامية وتعدد مواضعها وتنوعها حسب أنواع السلع التى كانت تباع فيها بقوله : (وعدد الأسواق (١٧٤) مائة وأربعة وسبعون سوقاً تخص منها المدينة بمائة واثنين وأربعين سوقاً. والأرباض الثلاثة باثنين وثلاثين.ومن أشرفها قدراً وأجملها مرأى سوق العطارين الأعظم(٢٣٣).وسماط العدول الموثقين المتصل حيث المدرسة الجديدة وكلاهما بجوفى الجامع الأعظم . والقيسارية خلف ذلك . ومن أسواق المأكول والمطعوم والفواكه والأدم ، وغير ذلك السوق الكبير . وسوق مقبرة زكلو من الجانب الشرقى من المدينة . ومن الأسواق المعلومة لتجارة الآنية الصفرية(٢٣٤) القوية الصبع العجيبة الصنعة الخاصة بسبته دون غيرها سوق السقاطين(٢٣٥) . ما أدراق ما سوق السقاطين رفاهية متجر وكثرة أنواع وحسن ترتيب)(٢٣٦) .

- القيسارية :

تعد القيساريات من أهم المؤسسات التجارية فى المركز العمرانى الاقتصادى فى المدن الإسلامية بوجه عام . وكلمة قيسارية هى تعريب للكلمة اليونانية اللاتينية Kaisareie وتعنى السوق القيصرى . وكان يباع فى القيساريات أفخر أنواع السلع التى يندر وجودها فى الأسواق الأخرى(٢٣٧) .

وقد أشار الأنصارى إلى أن قيسارية سبته كانت تقع بجوار مسجدها الجامع وبالتحديد خلف هذا الجامع(٢٣٨) . ويرجع أحد الباحثين أن تلك القيسارية كانت تقع فى الجهة الجنوبية الشرقية من مدرسة سبتة المعروفة بالمدرسة الجديدة . وأنها ظلت تحتفظ بعد حركة استرداد المدينة بنفس الموضع الذى كانت تقوم به فى العصر الإسلامى إلى أن تهدمت فى العصر الحديث وأقيم مكانها فندق يعرف بـ Hotel Muralla . ويضيف أنه من الصعب أن تحدد بدقة حدود قيسارية سبته ، ولكن يبدو أنها كانت تمتد فى شارع واحد معلق من جهته الجنوبية بواسطة برج يعرف اليوم ببرج كمبانيا Torre de la compana (٢٣٩) .

وفى رأى الأستاذ خواكين بالبين أن قيسارية سبته كانت تقع بالقرب من سوق سبته الحالى وبالتحديد فى الموضع الذى يقوم عليه الآن مبنى بنك أسبانيا حيث كان يشغل هذا الموضع وفقاً لوثيقتين مؤرختين بالقرن ١٨م شارع كبير كان يعرف بشارع القصر الأسقفى . ومن هذا الشارع كانت تتفرع عدة أزقة منها زقاق مسدود كان يعرف بزقاق القيسارية(٢٤٠).

• الحوانيت والتربيعات التجارية :

كانت أحياء سبته التجارية تزخر بالعديد من الحوانيت التى كانت تتسمى باسم السلعة التى تباع فيها أو بأسماء أصحابها . وقد أحصى الأنصارى حوانيت سبته بـ ٢٤ ألف حانوت (أربعة وعشرون ألفاً).

وعلى الرغم مما فى هذا الرقم من مبالغة ظاهرة إلا أنه يدل على أن الحوانيت التجارية كانت من المنشآت البارزة بين التكوينات المعمارية التجارية لمدينة سبته.

- التربيعات :

يقصد بالتربيعات حى أو سوق تجارى مربع أو دائرى أو مستقيم تتجمع فيه الحوانيت التجارية ويتخذ تكوين هذه المربعات أو التربيعات هيئة كتلة معمارية تضم مجموعة من الحوانيت ظهورها إلى الداخل وتطل جميعها على الشوارع التى تحيط بها من الجوانب الأربعة مقابلة أيضاً صفوفاً من الحوانيت على الجوانب الأخرى لهذه الشوارع(٢٤١) .

وقد كانت هذه التربيعات من المنشآت التجارية الهامة بمدينة سبته الإسلامية ويؤكد ذلك وصف الأنصارى لها بقوله (وعدد التربيعات المعلومة للحرارين والقزازين خاصة إذ هناك تربيعات غيرها داخلات فى حكم الأسواق إحدى وثلاثون تربيعة مفترقات بالممرات والأسواق خلال الأطرزة(٢٤٢) من أول المدينة

إلى أخرها أعظمها التربيعة التى بأسفل زقاق خطاب سامية فى الهواء كأنها معقل أو قلعة على ثلاث طباق وفى صحنها مسجد)(٢٤٣) .

ويبدو أن مثل هذه التربيعات كانت تمثل امتداداً لحوانيت قيسارية سبته فى الأزقة الجانبية المتفرعة من الشارع الأعظم الذى كانت تشغله قيسارية المدينة الرئيسية ، والتى يمكن أن تطلق عليها قيساريات الأزقة . ويرجح ذلك وصف ليو الأفريقى لمصطلح قيساريات الأزقة التى انتشرت فى مدن الغرب الإسلامى على أنه شبكة الأزقة التى تتفرع على جوانبها الحوانيت(٢٤٤) . كما يدعم هذا الاستنتاج ما ورد فى وثيقتين مؤرختين بالقرن ١٨م تشيران إلى وجود زنقات بمدينة سبته كانت تسمى بزنقات القيسارية(٢٤٥) .

• الفنادق :

تعتبر الفنادق من أهم المؤسسات التجارية فى المركز الاقتصادى فى المدن الإسلامية بوجه عام وهى تقابل فى بلاد المغرب والأندلس الخان فى المشرق الإسلامى(٢٤٦) .

وتمتاز الفنادق بأنها تجمع بين الصفة الاقتصادية التجارية والاجتماعية فلم تكن وظيفتها مقصورة على إيواء المسافرين من التجار الغرباء فحسب بل كانت سوقاً لبيع السلع بالجملة(٢٤٧) .

ويشير الأنصارى إلى توفر عدد كبير من الفنادق فى مدينة سبته فيذكر أنه كان بها ٣٦٠فندقاً(٢٤٨) .

ورغم ما فى هذا الرقم من مبالغة إلا أنه يتأكد لنا مما سبق أن أشرنا إليه أن مدينة سبته كانت محطاً للتجار من مختلف الأنحاء ، الأمر الذى دعا إلى توفير هذا العدد الهائل من الفنادق لإقامتهم بل وتخصيص أكبر هذه الفنادق وهو الفندق الكبير فقط لحفظ المنتجات الزراعية(٢٤٩) .

ويستدل مما ذكره الأنصارى عن فنادق سبته بأنها كانت تمتاز فى جملتها بالضخامة وتعدد طوابقها وبيوتها المخصصة لإقامة التجار(٢٥٠) . فضلاً عن العناية بتجميلها بالنقوش الجصية وأعمال النجارة ، إذ تعرض الأنصارى لذكر أحد التفصيلات التى تتعلق بأعمال الزخرفة فى فندق الوهرانى ، والتى أشار إليها بقوله (وأبدعها صفة فندق الوهرانى جمع هذا الفندق صنائع الجص والنجارة وعلى بابه عقاب غريب الشكل مفقود النظير)(٢٥١) .

• المنشآت الصناعية :

من الملامح الرئيسية لمدينة سبته أنها ذات طابع صناعى تجارى ، ولذلك كثرت بها المنشآت الصناعية التى شكلت جانباً هاماً فى تكوينها المعمارى . ومن أمثلة تلك المنشآت التى ذكرها الأنصارى.

• المقاصر (٢٥٢) :

كانت الصباغة من الصناعات الشهيرة بمدينة سبته الإسلامية حيث أحصى الأنصارى الأماكن المعدة لتلك الصناعة بـ ٢٥مقصراً وحدد لنا موقعها بقوله (وكلها تحت الأسوار والأبراج والأبواب . ولكل مقصر برج من أبراج السور خاص به تحط فيه الأمتعة ليلاً وتنشر نهاراً إلى أن تتم قصارتها وتتخلص فلا يخاف عليها طول تلك المدة من لص ولا يتكلف بحملها بالغداة والعشى مؤنه كما فى سائر البلاد)(٢٥٣) .

وهذا النص على جانب كبير من الأهمية ، إذ يوضح لنا مدى شهرة سبته فى صناعة المنسوجات على أساس أن صباغتها من العمليات الأساسية فى تلك الصناعة . كما يدلنا على أن تلك المقاصر أو المصابغ كانت تقع فى أطراف المدينة بالقرب من أسوارها وأبوابها وأبراجها . وواضح أن السبب فى ذلك يرجع إلى أن حرفة الصباغة تستلزم وجود ورشها أو مقاصرها خارج أبواب المدينة حتى لاتؤذى السكان ، فضلاً عما توفره أبراج الأسوار من حماية للمنسوجات المعدة للصباغة. وقد تحقق ذلك لمقاصر سبته بحكم

للصباغة. وقد تحقق ذلك لمقاصر سبته بحكم وقوعها داخل أبراج المدينة ، وبذلك توفرت فى تلك المصابغ كافة الشروط المناسبة لتفى بالغرض من إنشائها .حيث كان الأمان شرطاً أساسياً فى إقامة تلك المقاصر(٢٥٤) كما أوجبت الضرورة الوظيفية إقامة المقاصر الغزلية بمدينة سبته البالغ عددها ١٩ (تسعة عشر مقصراً) عند مجرى مائى حيث تم توزيع تلك المقاصر على ستة أماكن تتوفر فيها المياه ، منها قالة البسابس وقالة الصندل وقالة العين(٢٥٥) . ويعكس ذلك بوضوح تعريف مصطلح القالة بأنه كان يطلق بالمغرب فى القديم على بعض الأسوار التى يجرى فوقها الماء داخل قواديس(٢٥٦) .

• المنجرات :

المقصود بالمنجرات المكان الذى ينجر فيه الخشب والعود . وكان يطلق خاصة على دور صناعة السفن بالمراسى ودور صناعة السلاح بها وبغيرها . وقد يطلق تجاوزاً على المكان الذى يجلس به جباة الأموال وولاة الأحكام(٢٥٧) . ومعظم تلك المنجرات كان معداً لصناعة القسى(٢٥٨) التى اشتهرت سبته بصنعتها معتمدة فى ذلك على ما لديها من مواد خام ، وأيدى صناعية ماهرة وقد أشار الأنصارىإلى تلك المنجرات المعدة لصناعة القسى وأحصاها بـ ٤٠ منجرة بقى منها فى زمانه ١٥ (خمس عشر منجرة) . كما أشار إلى أشهر الشخصيات المتخصصة فى هذه الصناعة منذ القدم مثل الشيخ أبو عبد الله محمد الحسنى . والشيخ أبو عبد الله محمد عبد الله المعروف بالعقدة ، وكان متقدماً فى هذه الصناعة فى زمانه ، فضلاً عن الشيخ أبى الحسن العبادى الذى اشتهربكثرة أدواته ومتعلقاته التى كانت تعينه على اتقان هذه الصنعة(٢٥٩) .

• المضارب والمصايد :

المقصود بالمضارب المكان الذى تضرب فيه شباك صيد الأسماك من البحر فى عامية المغرب والأندلس . وهذه الكلمة العربية -مضربة أو المضربة- بقيت فى اللغة الأسبانية بهذا الشكل Almadraba (٢٦٠) .

أما عن المصايد فيقول (وعدد ما وقفنا عليه من المصـايد سـوى مـا لم نقـف عليه مئتان واثنتان وتسعة وتسعون مصيداً) (٢٦٢) .

وإذا كان النص قد أورد فيه الأنصارى أرقاماً مغالى فيها بالنسبة لعـدد تلـك المضارب والمصايد ، إلا أنها تـدل فـى وضـوح علـى أن تلـك المنشـآت الصناعيـة الخاصة بصناعة أدوات الصيد كـانت مـن الصناعـات الزاهـرة بمدينـة سـبته . وقـد ساعد على هذا الازدهار تعدد مواقع مصايد الأسمـاك علـى امتـداد سـواحل سـبته على البحر المتوسط والمحيط الأطلسى ، حيث اشتهرت تلك السـواحل بثرائهـا فـى الأحياء البحرية لاسـيما المرجـان(٢٦٣) . فضـلاً عـن تعـدد أنـواع أسماكهـا إلى أن بلغت نحو مائة نوع(٢٦٤) .

المطامير :

ومن المنشآت الاقتصادية بمدينة سبته المطامير أى الأهراء تحت الأرض والتـى كانت تستخدم كمستودعات لطمر القمح وخزن الغلال . مـن أجـل تصديـره أو استهلاكه محلياً.

وقد أحصى الأنصارى مطامير سبته بأربعين ألفاً - ٤٠ ألف -وأشـاد بقدرتهـا فـى المحافظة على ما كان يحفظ بها من القمح بقوله(يمكث الزرع فى هذه المطامـير السـتين سـنة والسبعين سنة ولا يلحقه تغير ، لطيب البقعة واعتدال الهواء وكونها جبلية)(٢٦٥).

ويبدو أن العناية بإنشاء تلك المطامير ترجع إلىأن أحواز سـبته كـانت فقـيرة ووعرة ، مما جعل المدينة تعانى دائماً من قلة الحبوب(٢٦٦). وإن كانت قد توافرت بها الخضروات والفواكه حيث كان بسبته من البسـاتين والأجنـة مـا يقـوم بأهلهـا وفقاً لما ذكره ابن حوقل(٢٦٧).

• ديار الإشراف المالى(٢٦٨) :

كان لسياسة حكام سبته فى مراقبة نشاطها التجارى والصنـاعى أثرهـا الواضـح فـى تطور هذه المدينة وازدياد عمرانها ، حيث اهتم هؤلاء الحكـام بإنشـاء دور للإشـراف المـالى

لعبت دوراً هاماً فى تنظيم الشئون الاقتصادية والتجارية ، وأثرت تأثيراً واضحاً فـى المحافظة على المنشآت التجارية والصناعية.

ويحدثنا الأنصارى عن دور الإشراف المـالى بمدينـة سبته فيقـول إنهـا أربعـة وهى دار الإشراف على عمال الديوان(٢٦٩) . ودار الإشراف على سكة المسـلمين بقصبة المدينة ودار الإشراف على شـد الأمتعـة وحلهـا (الجمـارك) وهـى المعروفـة بالقاعة(٢٧٠)حيث تجارة العطر)(٢٧١) .

• المقابر :

الواقع أن ما ورد فى المصادر العربية عن مقابر سبته يعـد شـحيحاً . ولكـن بفضل ما زودنا به الأنصارى عن تلك المقـابر نستطيع أن نحـدد علـى نحـو مؤكـد وجود نوعين من المقابر الإسلامية بمدينة سبته. أحدهما . مقابر الأوليـاء الصـالحين والعلماء والفقهاء ، والآخر مقابر العامة.

(أ) مقابر الأولياء الصالحين أو المزارات المباركة :

اتخذت المنطقة الممتدة بسفح جبل الميناء شرقى مدينة سبته(٢٧٢) نواة لإقامـة قبور الأشخاص المشهود لهم بالورع والتقوى من الأولياء الصالحين من أهل سـبته. وكان لتلك القبور مكانة روحية ودينية فى نفوس أهل سـبته ، فكـانوا يقصدونهـا للزيارة والتبرك . وقد أحصى الأنصارى بعض تلك المقابر بـ٨٢(اثنين وثمانين قبراً). فضـلاً عـن بعـض المـزارات التـى تضـم قبـور عديـدة ليسـت بداخلـة فـى هـذا العدد(٢٧٣).

وتتجلى أهمية نص الأنصارى الخاص بوصف تلك المقابر فى أنـه زودنـا بأسمـاء مـن دفن بهذه المقابر من أهل العلم والفقهاء الصالحين ، بحيث يعد ما سجله عنها مـن أسمـاء من دفن بها سجلاً وافياً ودليلاً كاملاً لمعظم كبار أعلام سـبته فـى مختلـف الفنـون والعلوم . وأهم المزارات أو مقابر الصالحين التى وصفها الأنصارى مقبرة التوته من الميناء بشرقى المدينة وفيها قبر الولى أبى ذرعه وهو مزار مشهور . وأبى ذرعه هـذا

هو الذى أدخل القرآن الكريم إلى المغرب (٢٧٤) والدعاء عند قبره مستجاب على حد قول الأنصارى (٢٧٥). ومن مزارات سبته الشهيرة أيضاً المقبرة الكبرى التى بسفح جبل الميناء ، وفيها كان يوجد قبر الشيخ الأستاذ العلامة المصنف أمام النحويين أبى الحسن بن أبى الربيع القرشى الأموى العثمانى الأشبيلى نزيل سبته(٢٧٦) ومقبرة المنارة(٢٧٧) ومقبرة الحافة(٢٧٨) ومقبرة مسجد المحلة(٢٧٩) ومقبرة الشريعة بالربض الأوسط(٢٨٠) .

(ب) مقابر العامة :

أما مقابر العامة فقد أحصاها الأنصارى بـ١٣ ثلاث عشرة ، موزعة بداخل المدينة وخارجها ، منها مقبرة المنارة . ومقبرة البلد القديم ومقبرة الحارة ومقبرة مضرب الشبكة ومقبرة أحجار السودان الأولى والثانية(٢٨١).

ولم يزودنا الأنصارى فى وصفه لتلك المقابر بأسماء من دفن بها . ومرجع ذلك أنها كانت على عكس مقابر الفقهاء والأولياء الصالحين ، كان يدفن بها عامة الناس من غير المشاهير .

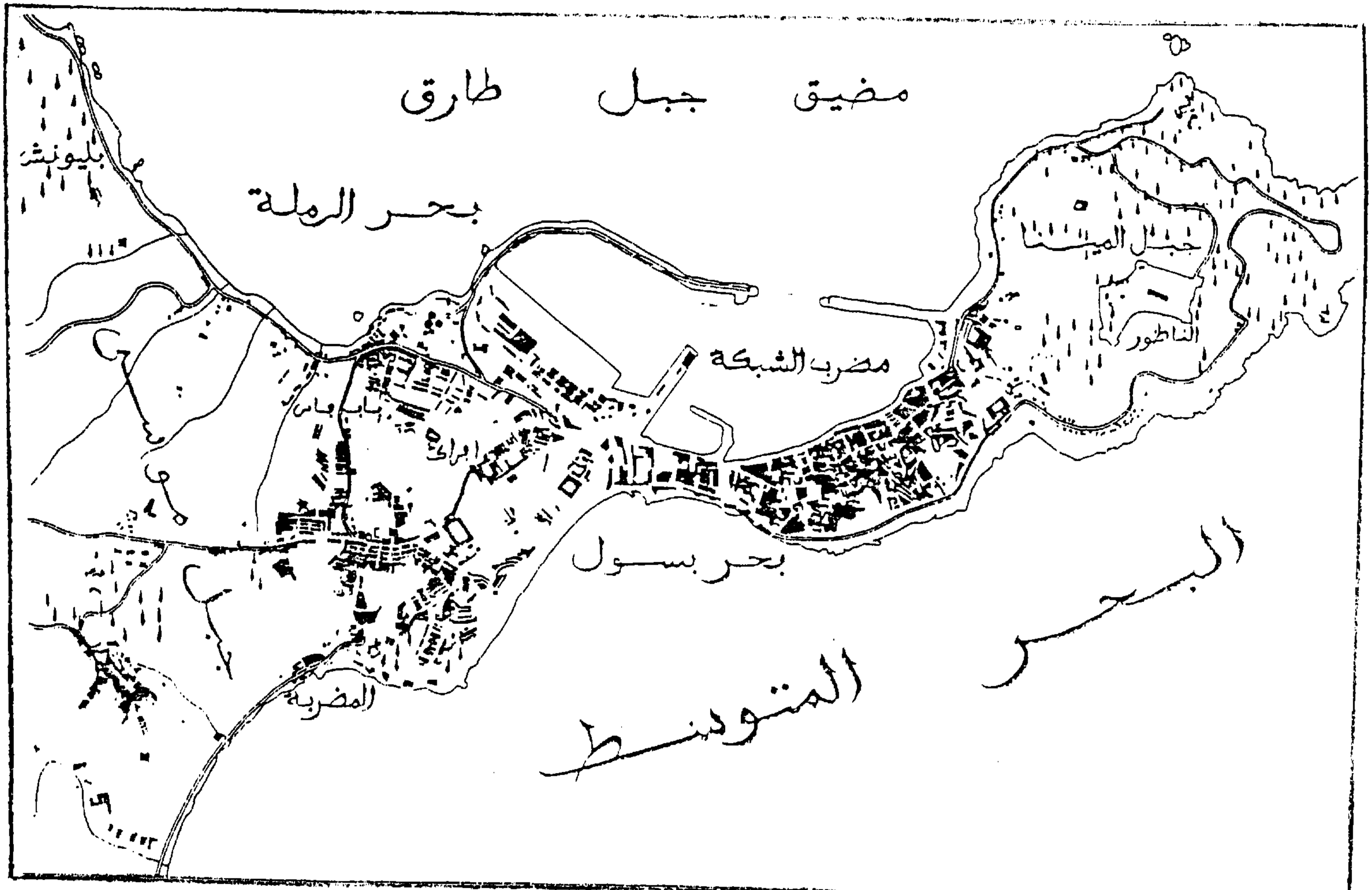

ش (١) (أ) خريطة سبته وضواحيه (عن عبد الوهاب بن منصور)

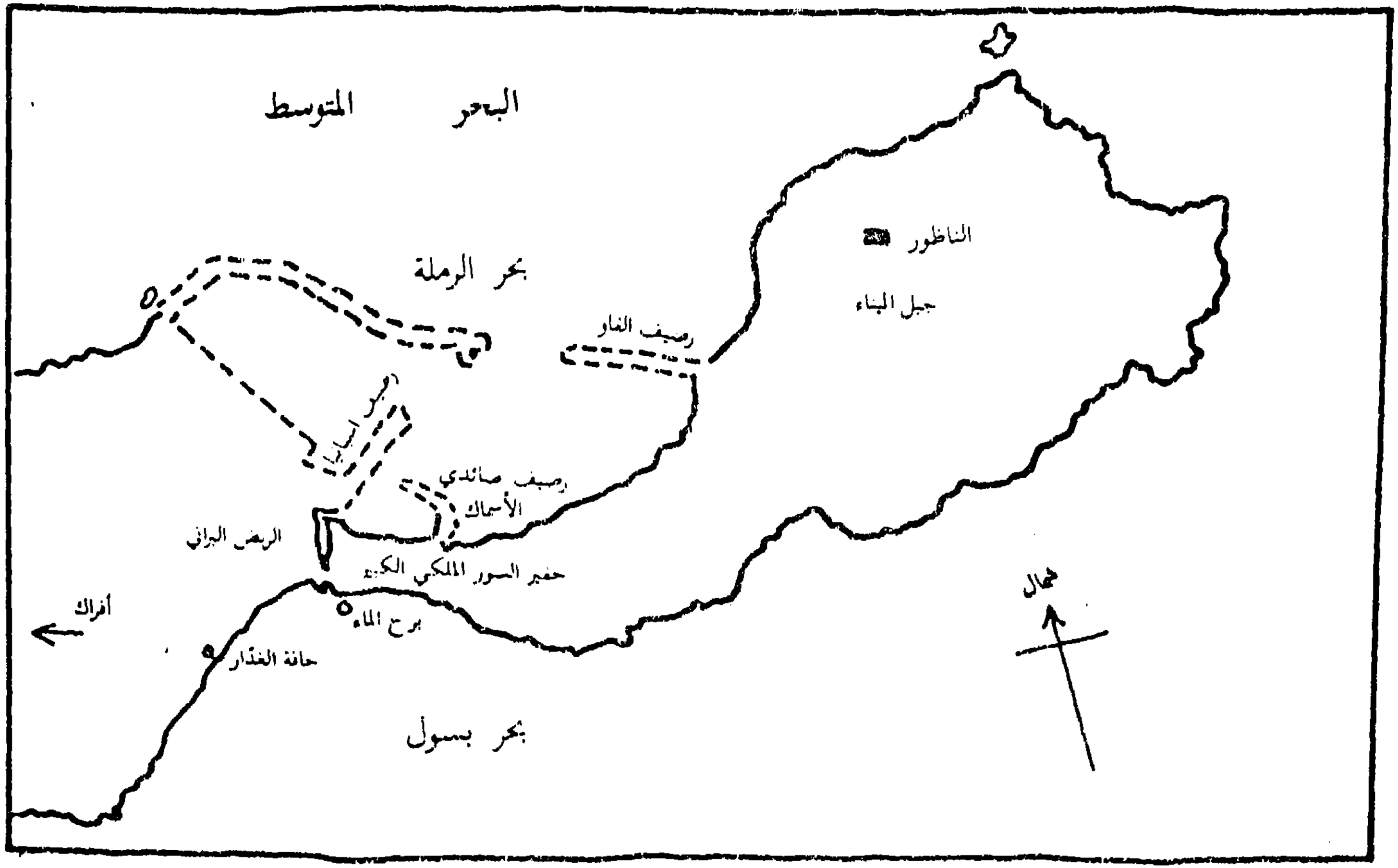

س (١ب) خريطة تقريبيه لسبته فى أواخر الفترة الإسلامية (عن . ج. د. ليثام)

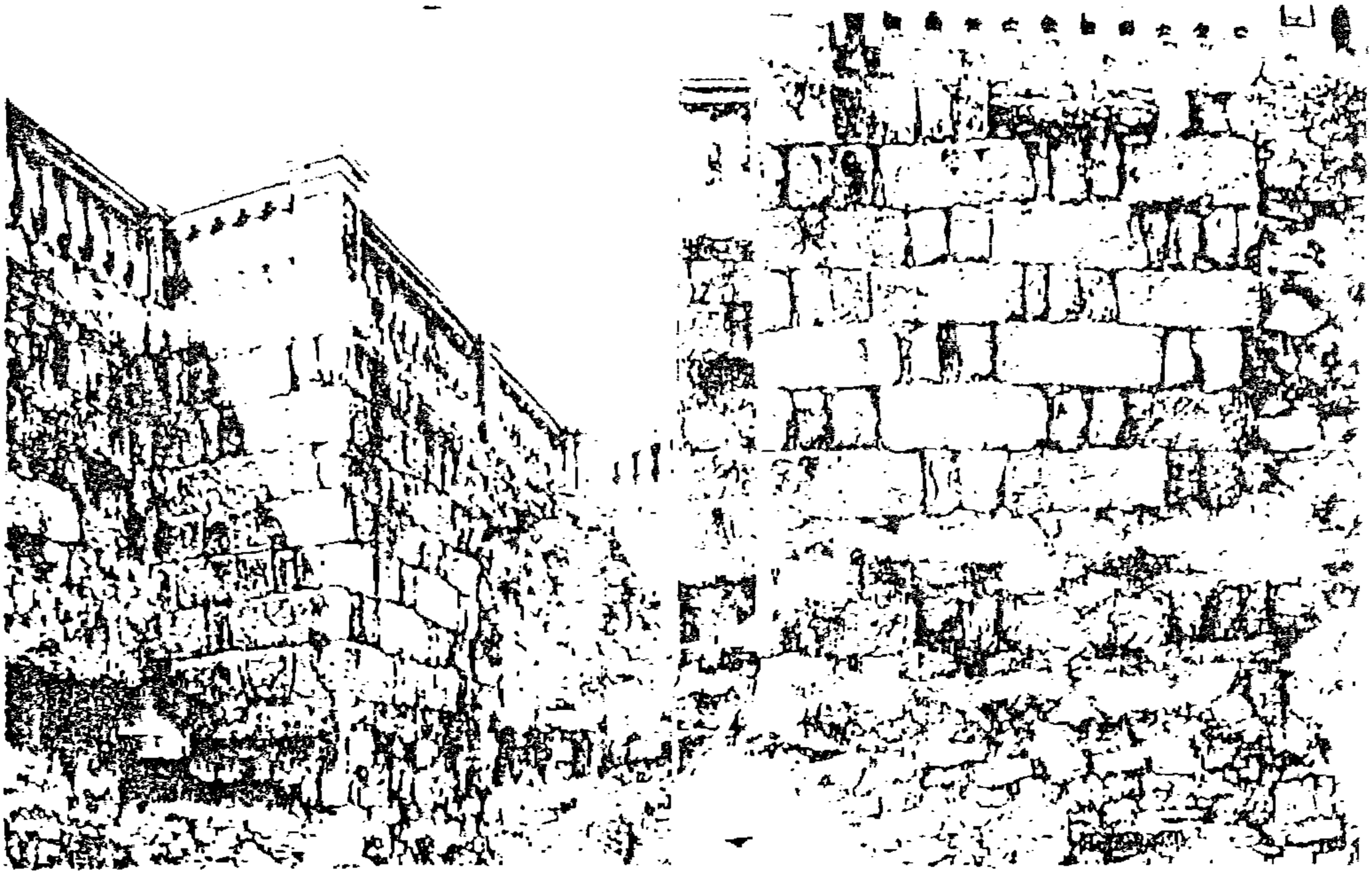

شكل (٢)

أحد أبراج السور الشمالى لمدينة سبته (عن تراس)

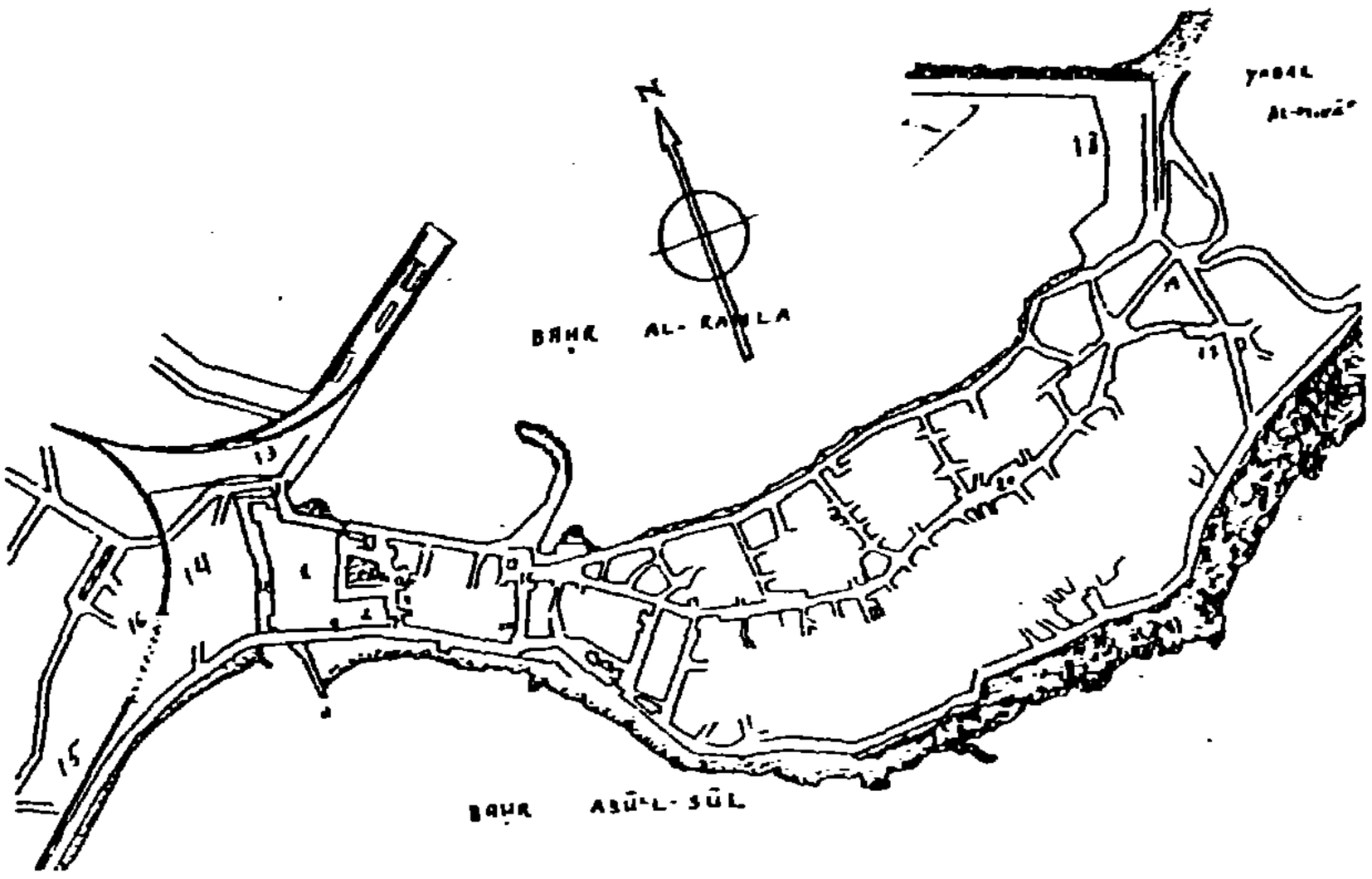

(شكل ٣أ) (عن خواكين بالبين) خريطة توضيحيه لمواقع مدينة سبته ومعالمها الإسلامية

(١) القصر ، (٢) الجامـــع ، (٣) المدرسة الجديدة ، (٤) ســوق العطـارين ، (٥) المسجـــد ، (٦) سماط العدول ، (٧) القيساريه ، (٨) الباب لأعظـم ، (٩) بـاب الزلاقـة ، (١٠) بابالقصـابين ، (١١) برج للماء ، (١٢) حفير للهاج ، (١٣) القصابون ، (١٤) الربض البرانى، (١٥) حافة الفدر (الكدار) (١٦) حفير، (١٧) مسجد المقبرة ، (١٨) الميناء ، (١٩) باب الميناء ، (٢٠) زقاق ابن عيسى.

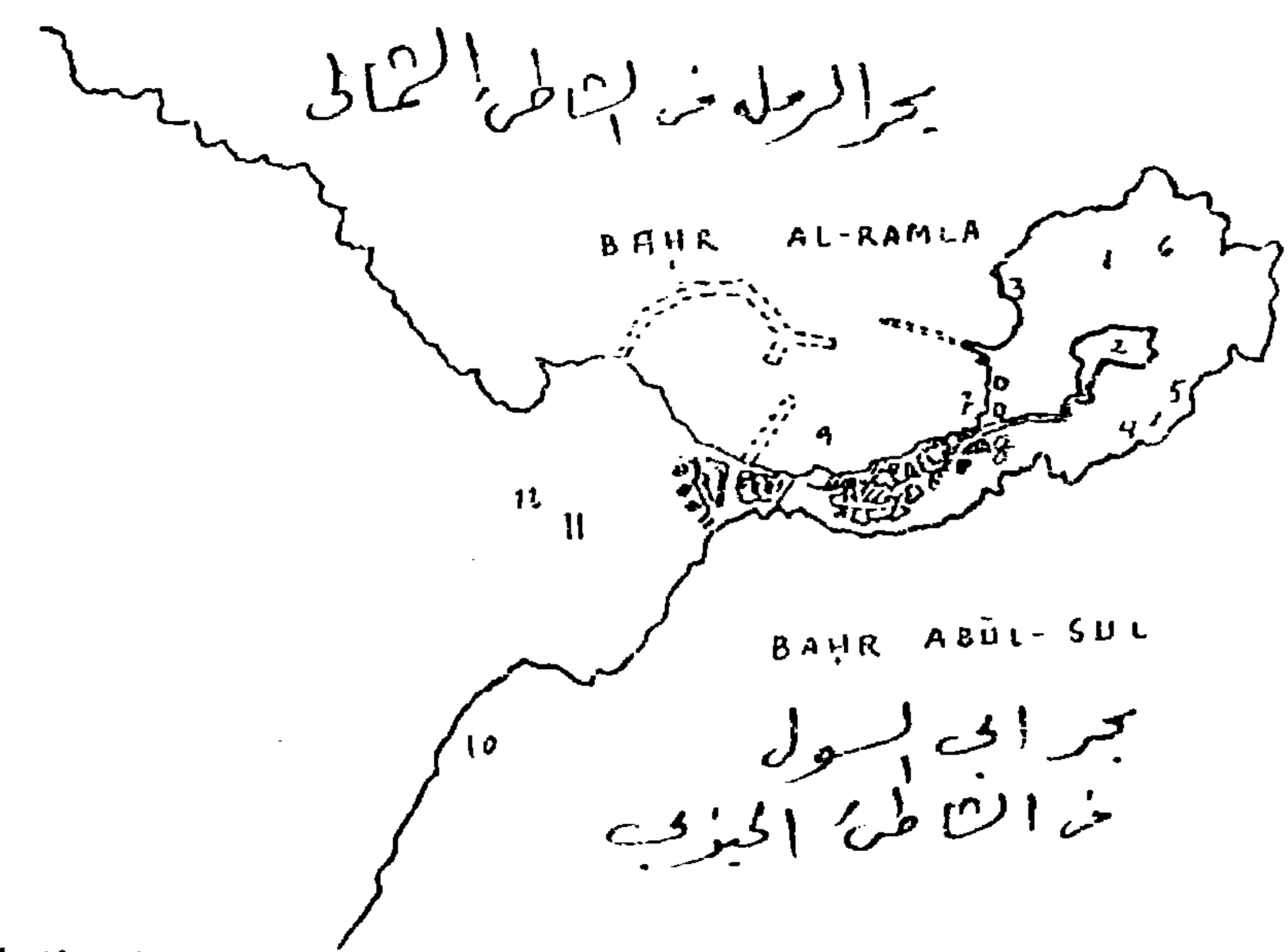

شكل (٣ب) (عن خواكين بالبين) خريطة أخرى لمواقع مدينة سبته و معالمها الإسلامية

(١) الناضـــور ، (٢) القصبـــــه ، (٣) دار الصناعـة ، (٤) ربـاط أبـى العبـاس ، (٥) المصلـــى ، (٦) المقـــبرة ، (٧) حفـير أو حفـرة المختـار ، (٨) عرقـوب ، (٩) مضرب الشبكة ، (١٠) مضضرب أويات ، (١١) أفراك ، (١٢) باب فاس.

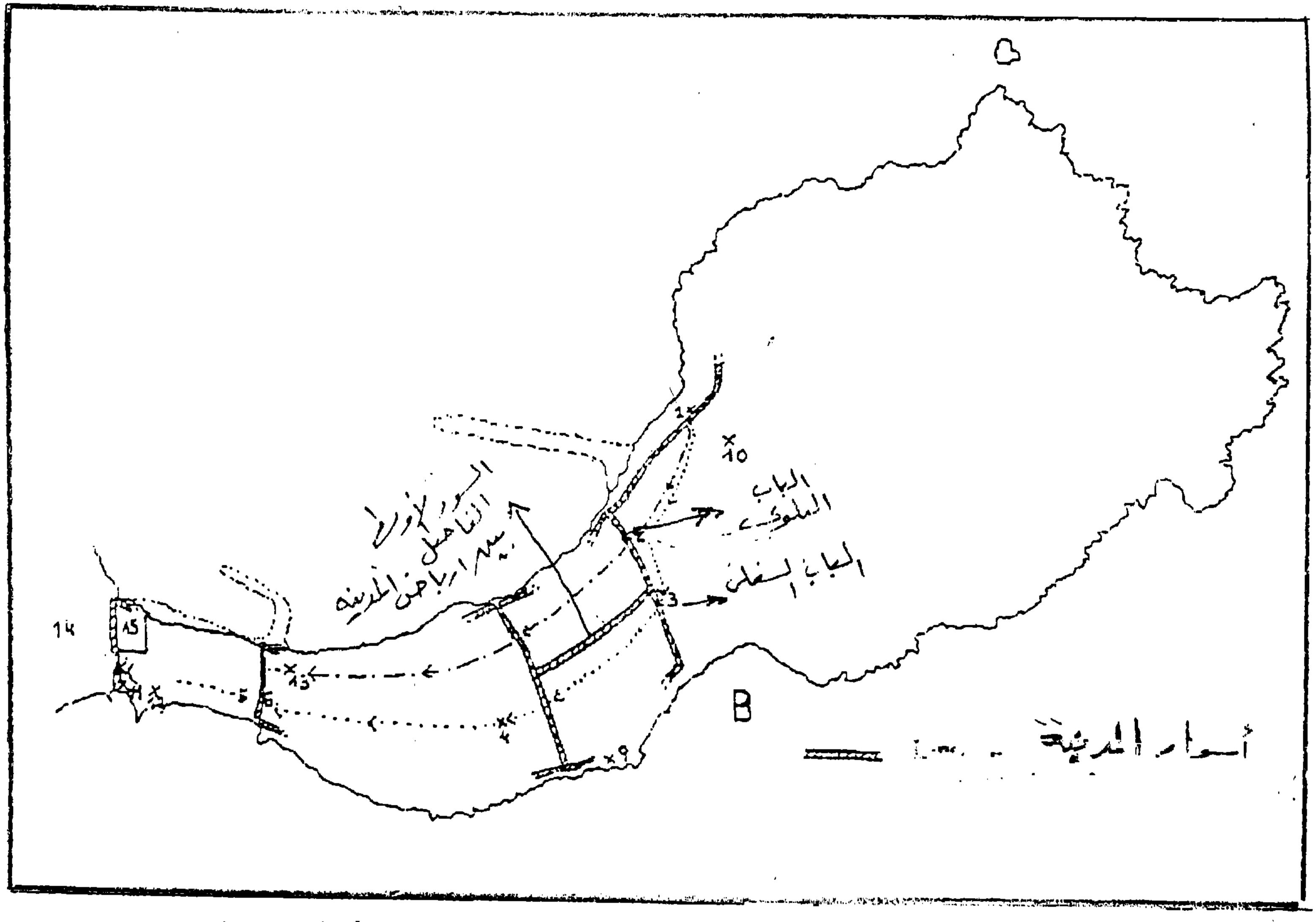

شكل (٤) رسم كروكي لأسوار سبته من خلال الرسوم التخطيطية القديمة للمدينة (عن كارلوس جوثابلس)

شكل (٥)

الجانب الغربى لمدينة سبته كما وردت صورته فى مصدر يرتغالى مؤرخ بالقرن ١١هـ/١٧م

(عن أمين توفيق الطيبى)

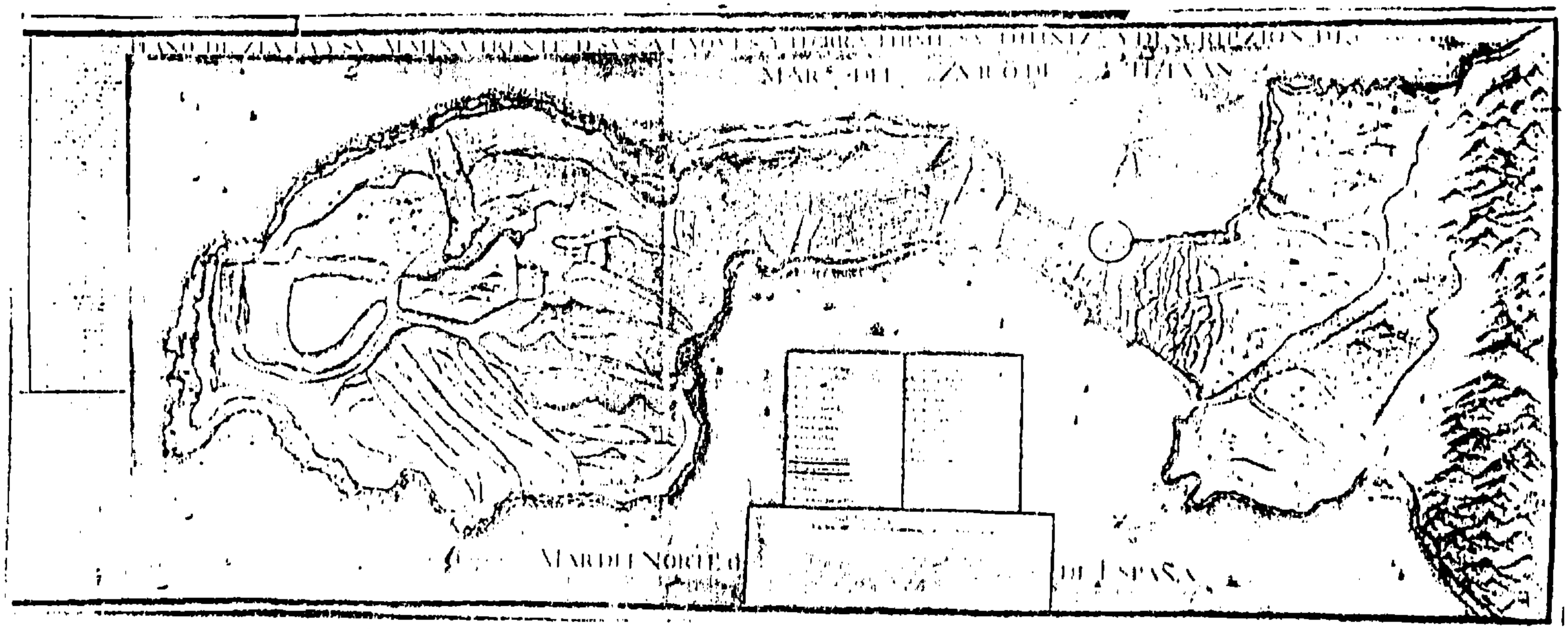

شكل (٦) خريطة كونتريه لمدينة سبته فى بداية القرن ١٨م محفوظة فى مصلحة المساحة العسكرية (عن بافون)

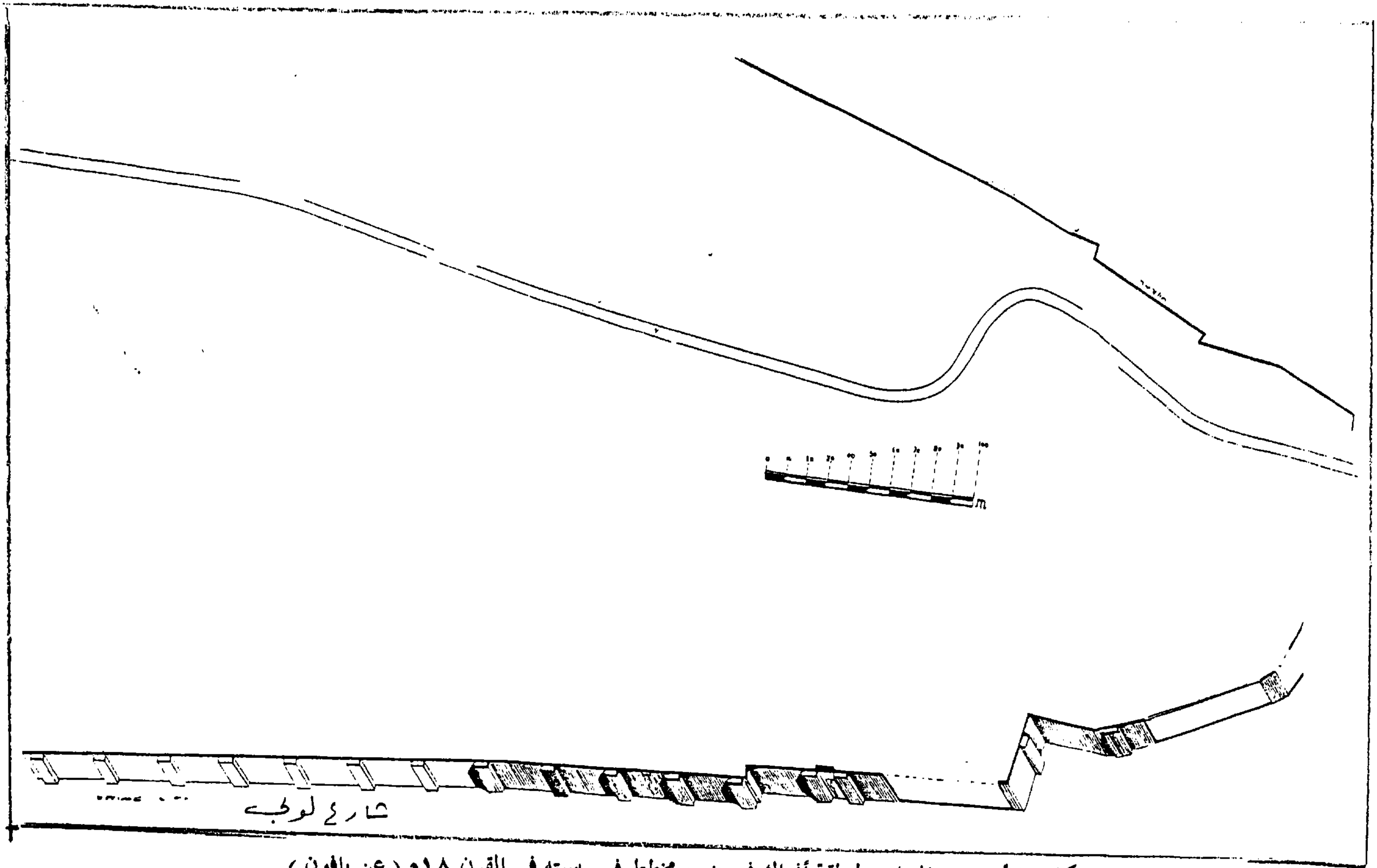

شكل (٧أ) رسم افتراضي لمنطقة أفراك فى ضوء مخطط فى سبته فى القرن ١٨م (عن بافون)

شكل (٧ب) خريطة كونتريه لمنطقة أفراك (عن بافون)

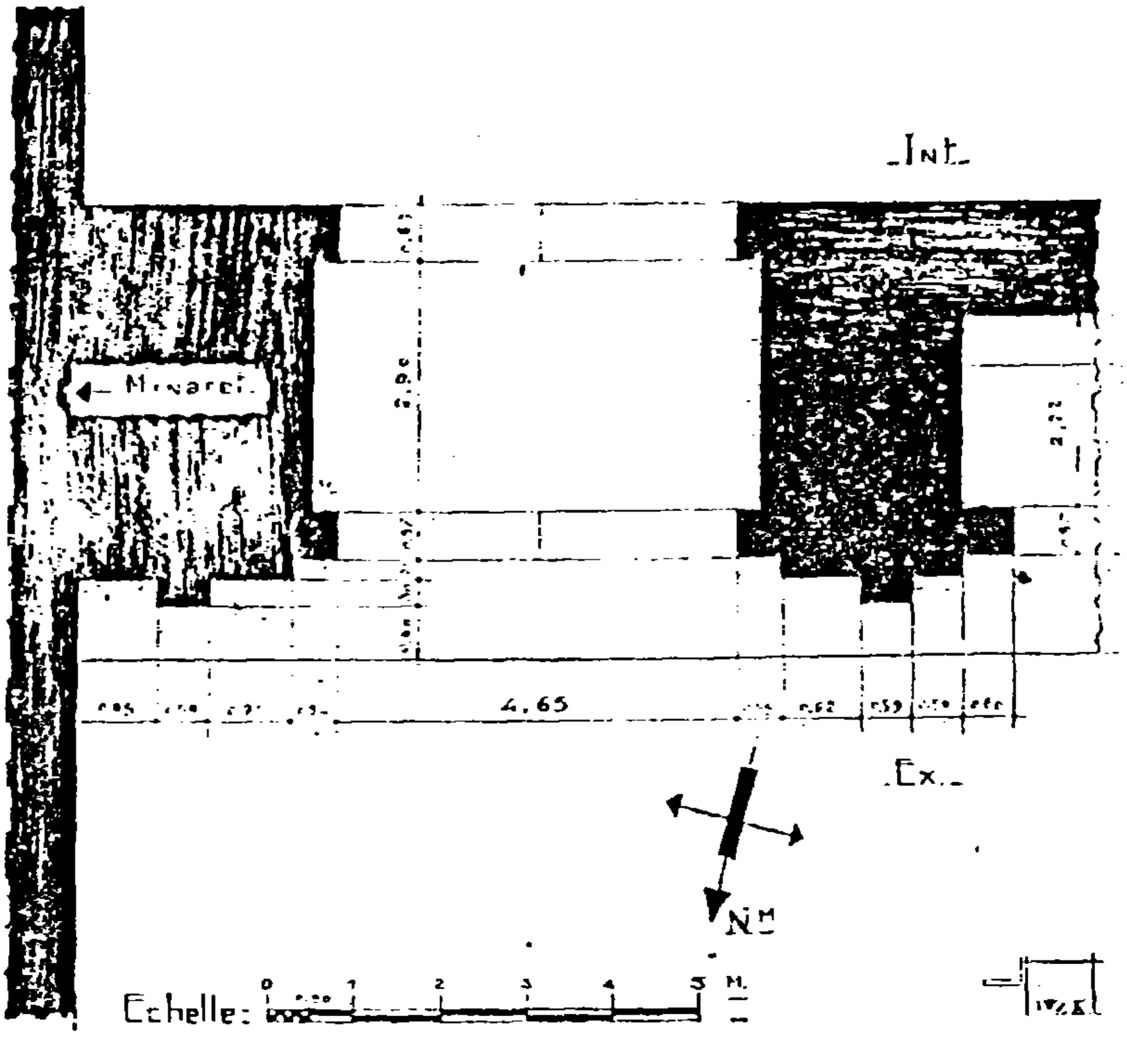

شكل (٨)

رسم تخطيطي لباب مسجد حسان بالرباط (عن بافون)

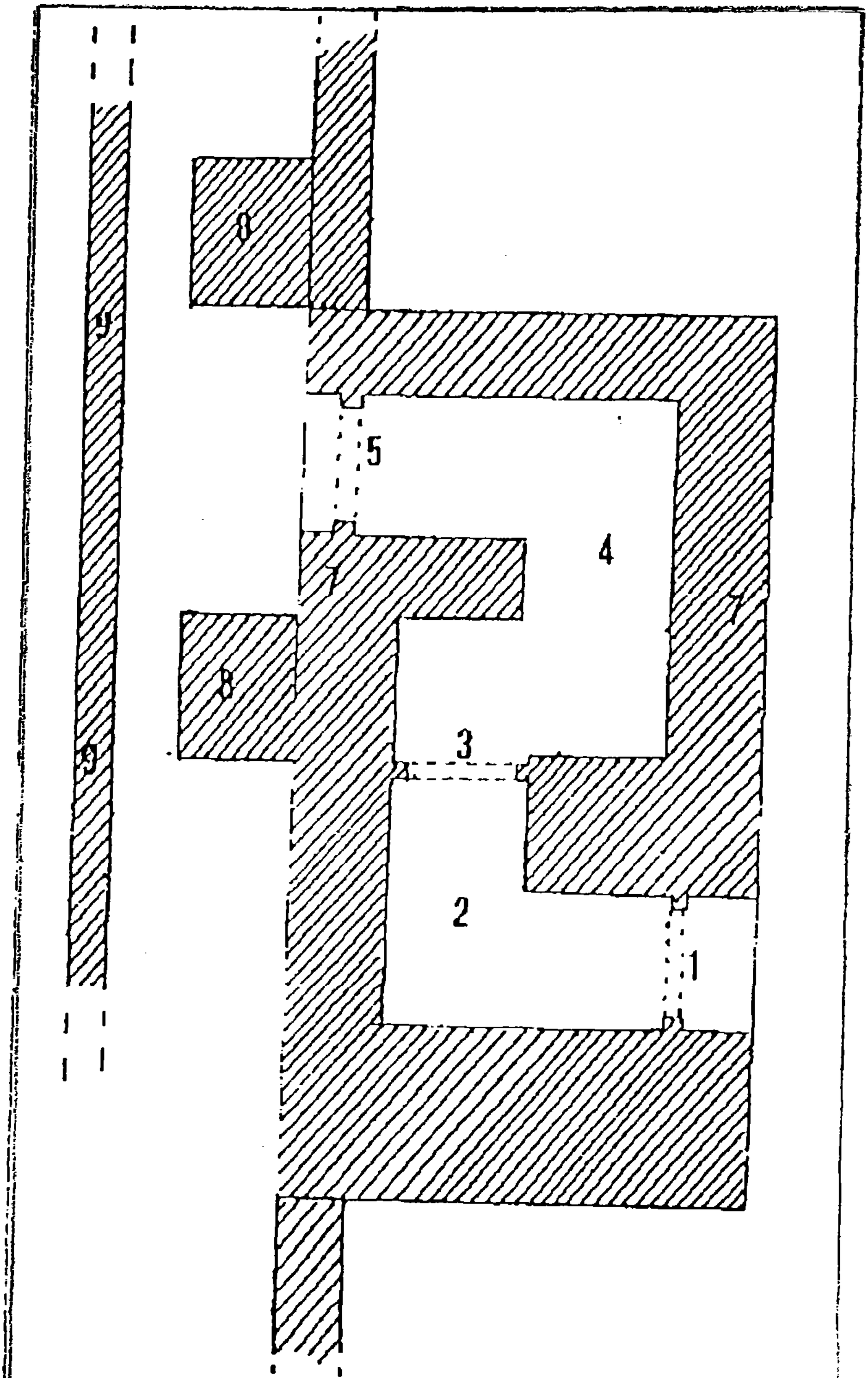

شكل (٩) رسم افتراضى لباب سبته المعروف بـ (الباب الجديد) (عن كارلوس جوثابلس)

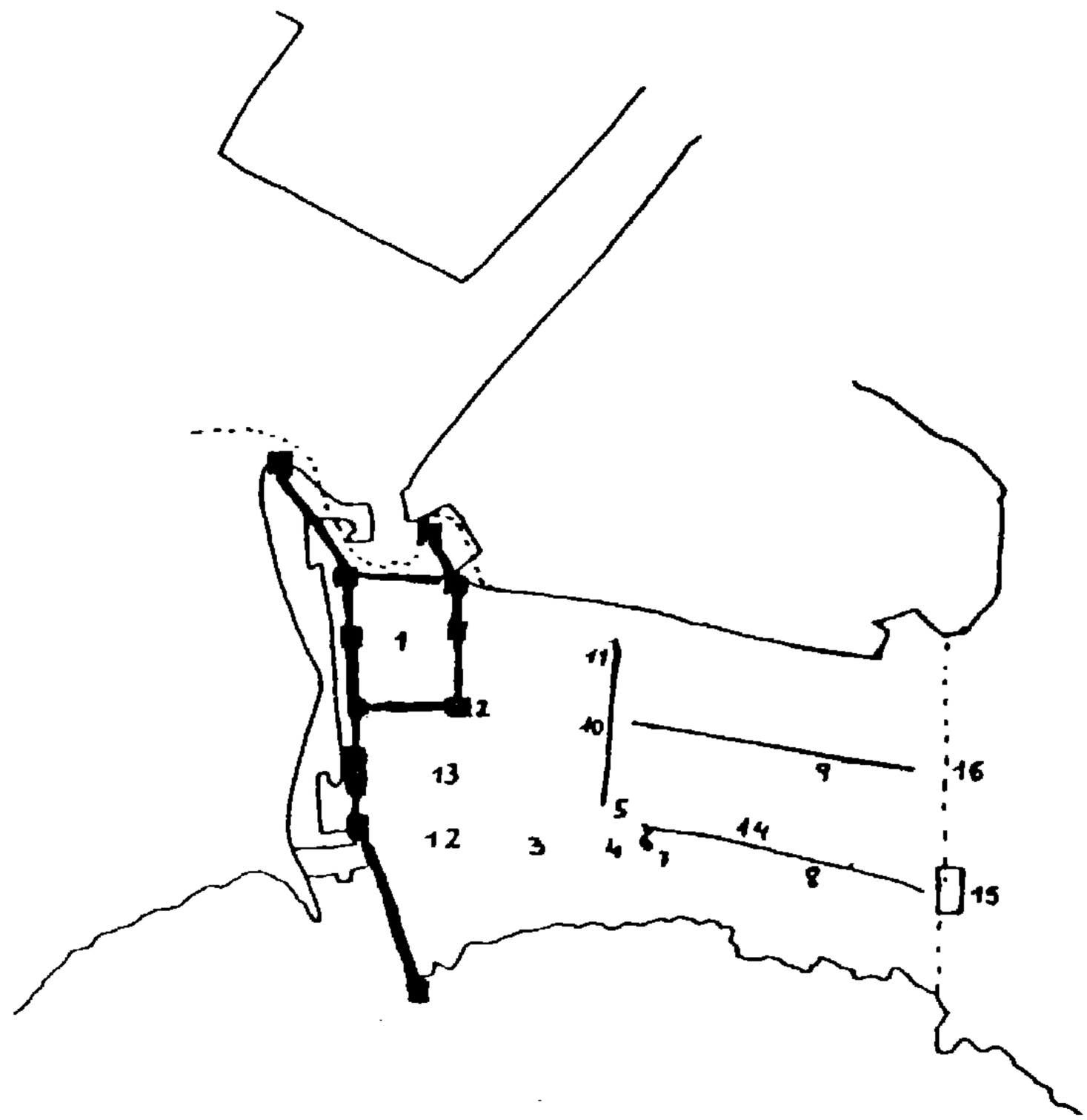

شكل (١٠)

رسم تخطيطى لمركز سبته العمرانية (عن كارلوس جوثابلس)

١ - القصبة أو القلعة .

٢ - برج الحراسة .

٣ - المسجد الجامع .

٤ - حمام القائد .

٥ - المدرسة الجديدة .

٦ - نافورة .

٧ - حباب .

٨ - سوق العطارين الموجود الآن بشارع خاوديس) .

٩ - شارع ابن عيسى (المعروف الآن بالشارع الأعظم) .

١٠ - شارع الموثقين (المعروف ان بشارع سان اودنيا)

١١ - مسجد الموثقين .

١٢ - القيسارية .

١٣ - سوق السقاطين .

١٤ - دابة الأشراف الأدارى .

١٥ - منطقة الجمرك .

١٦ - باب الريض الأوسط .

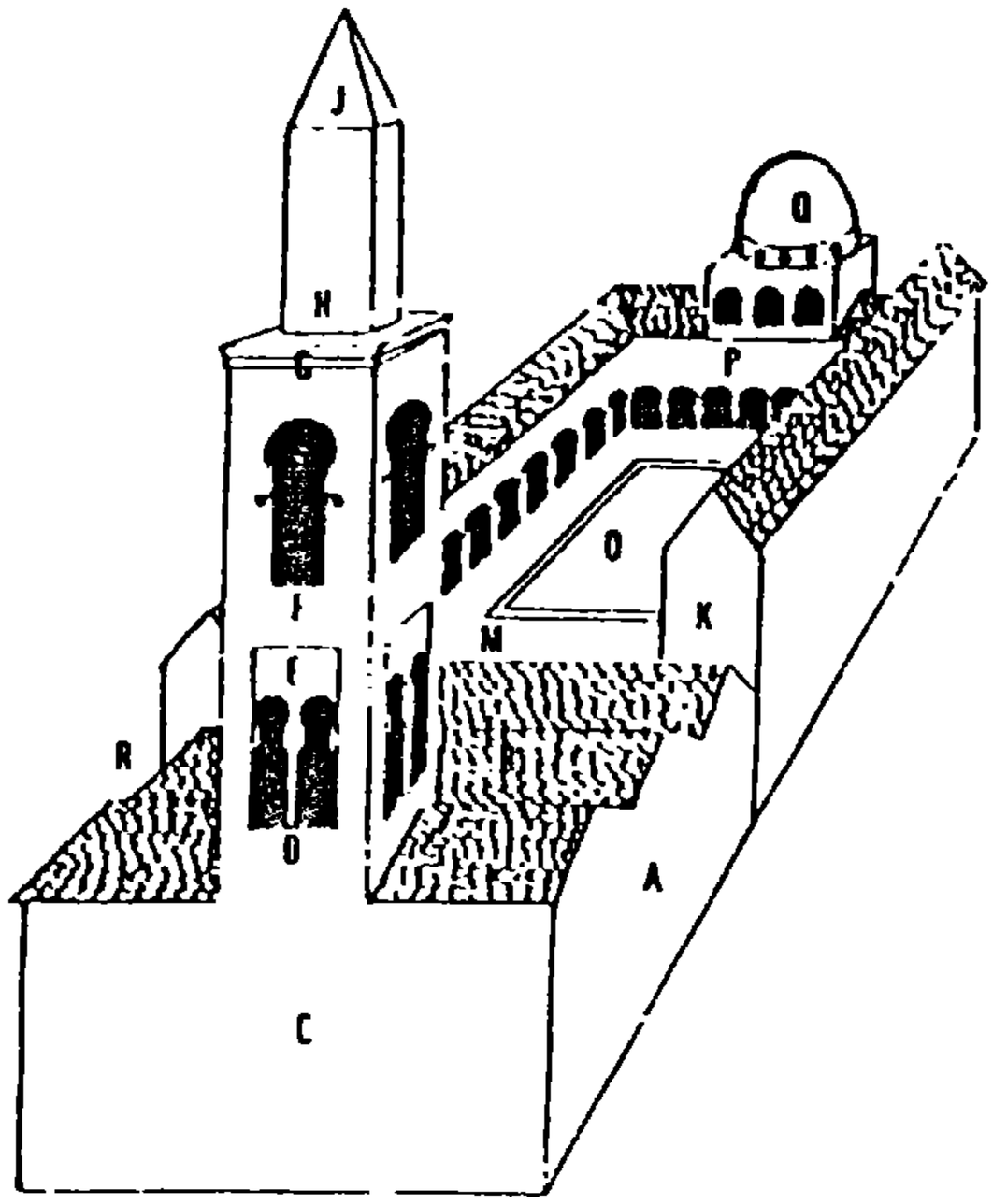

شكل (١١)

رسم افتراضي للمدرسة الجديدة بمدينة سبته (عن كارلوس جوثابلس)

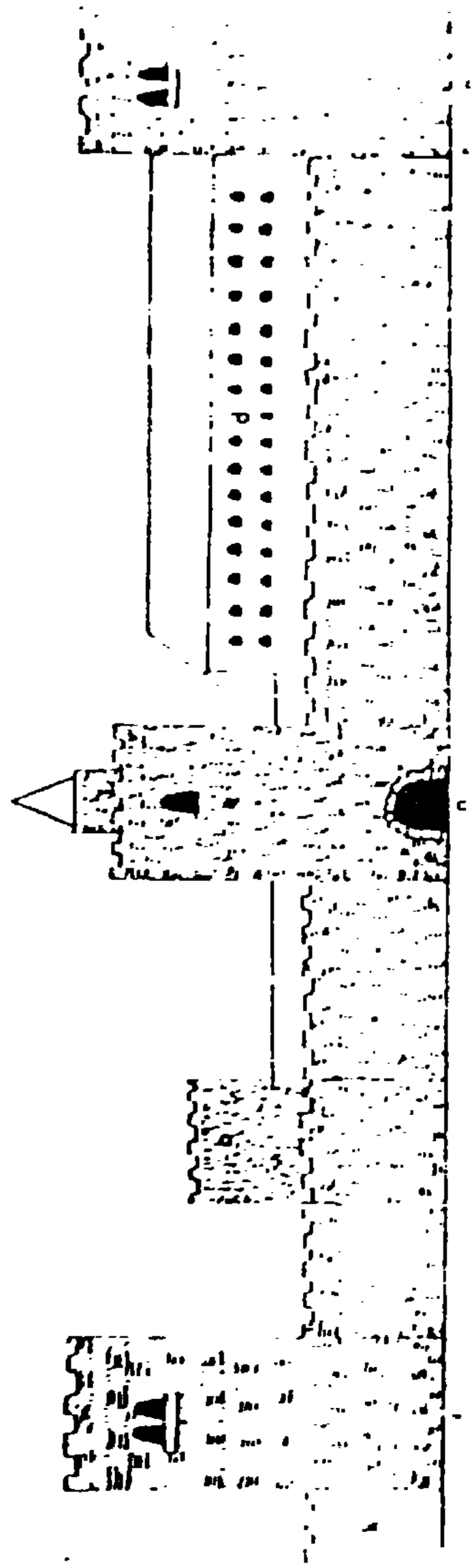

شكل (١٢)

رسم افتراضى للسور الغربى لقصبة سبته (عن كارلوس جوثابلس)

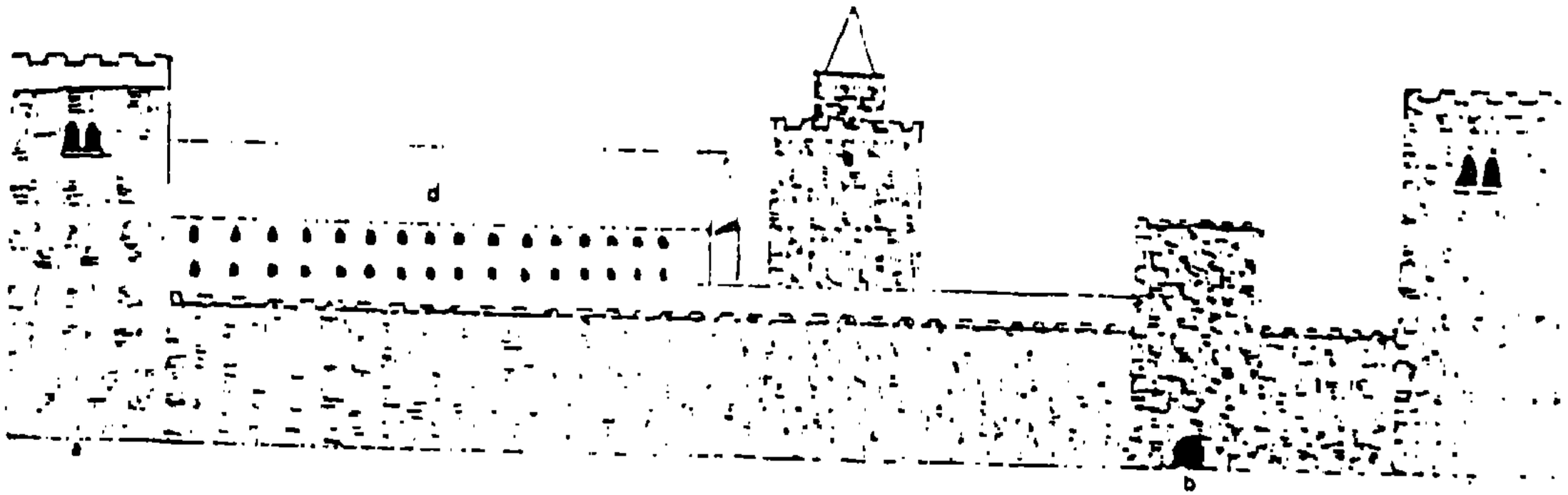

شكل (١٣)

رسم افتراضى للسور الشرقى لقصبة سبته (عن كارلوس جوثابلس)

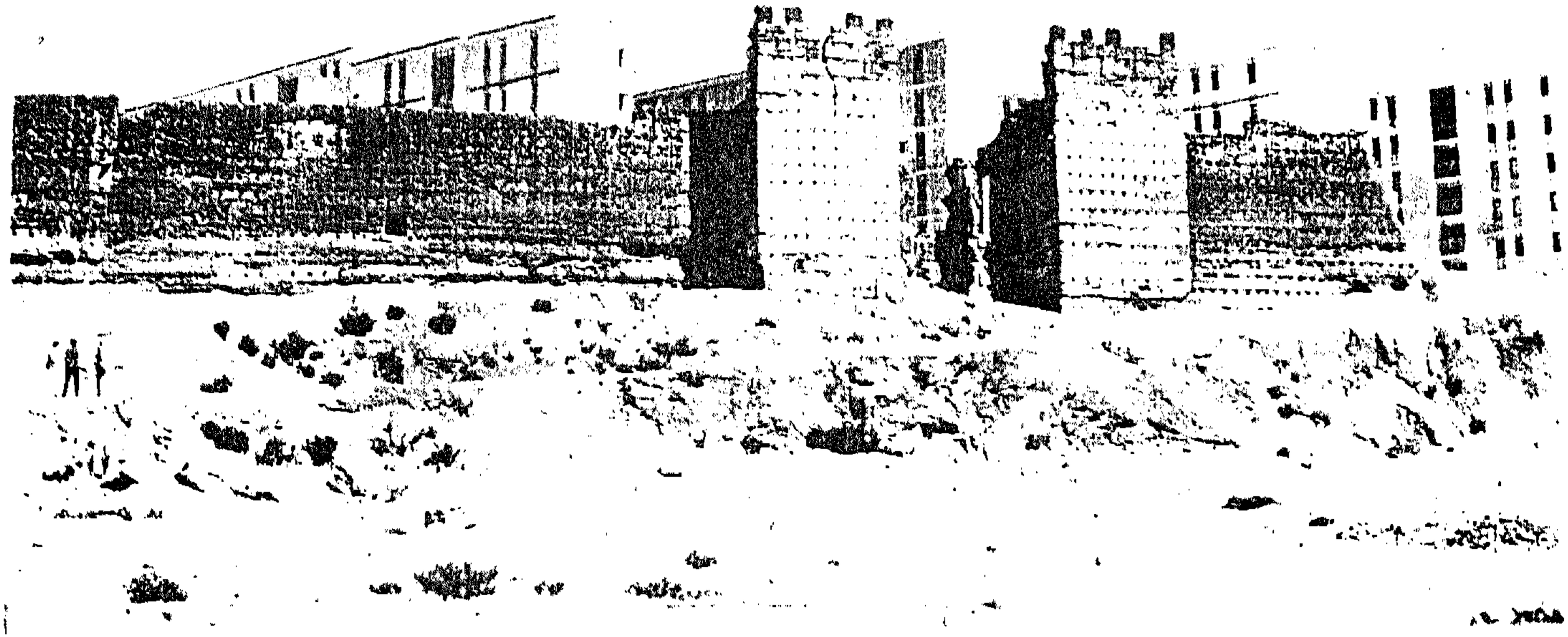

لوحة (١)

باب فاس بمدينة سبته (عن بافون)

لوحة (٢) مدينة سبسطية (من الجنوب)

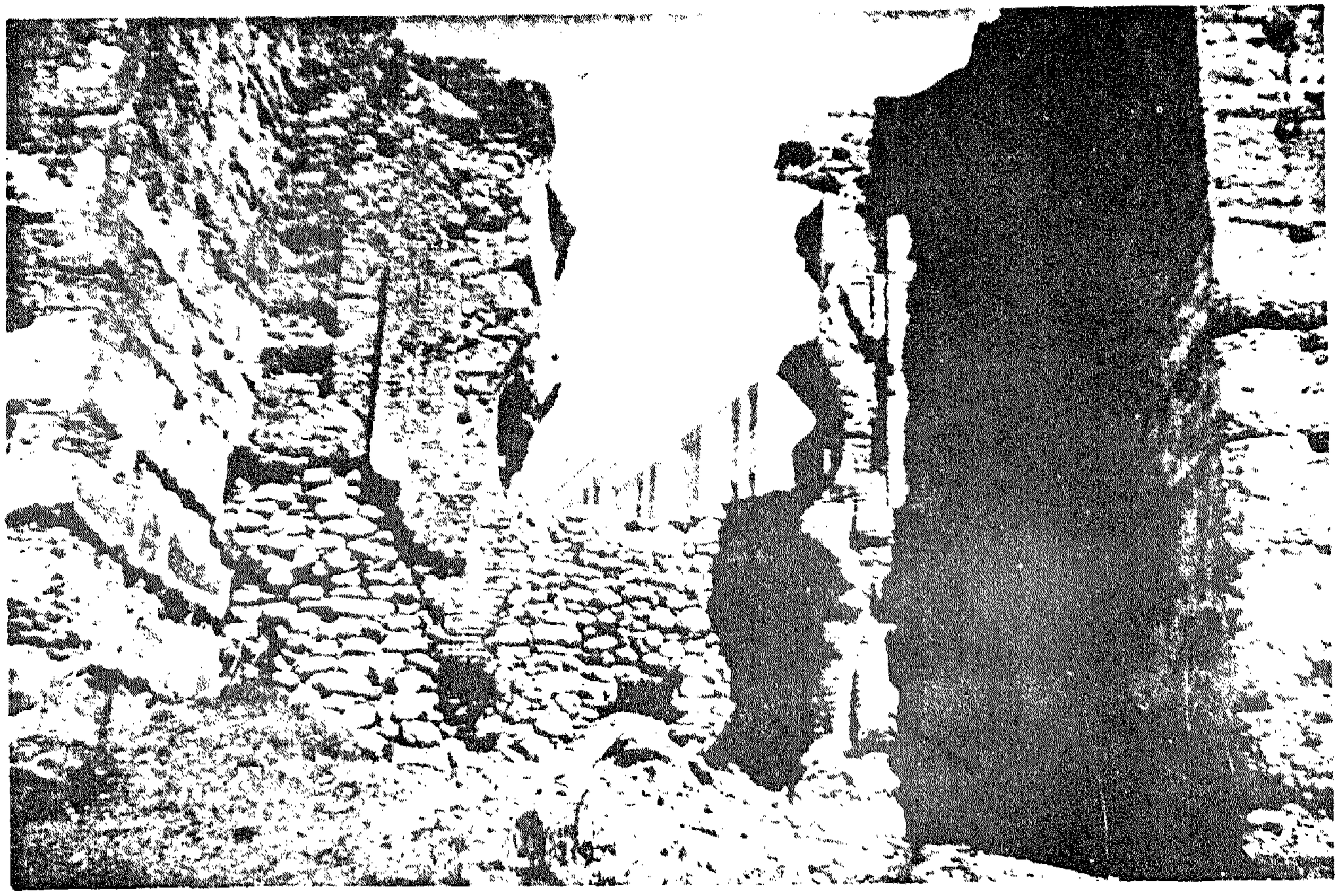

لوحة (٢ ب)

بقايا باب فاس بمدينة سبته (عن بافون)

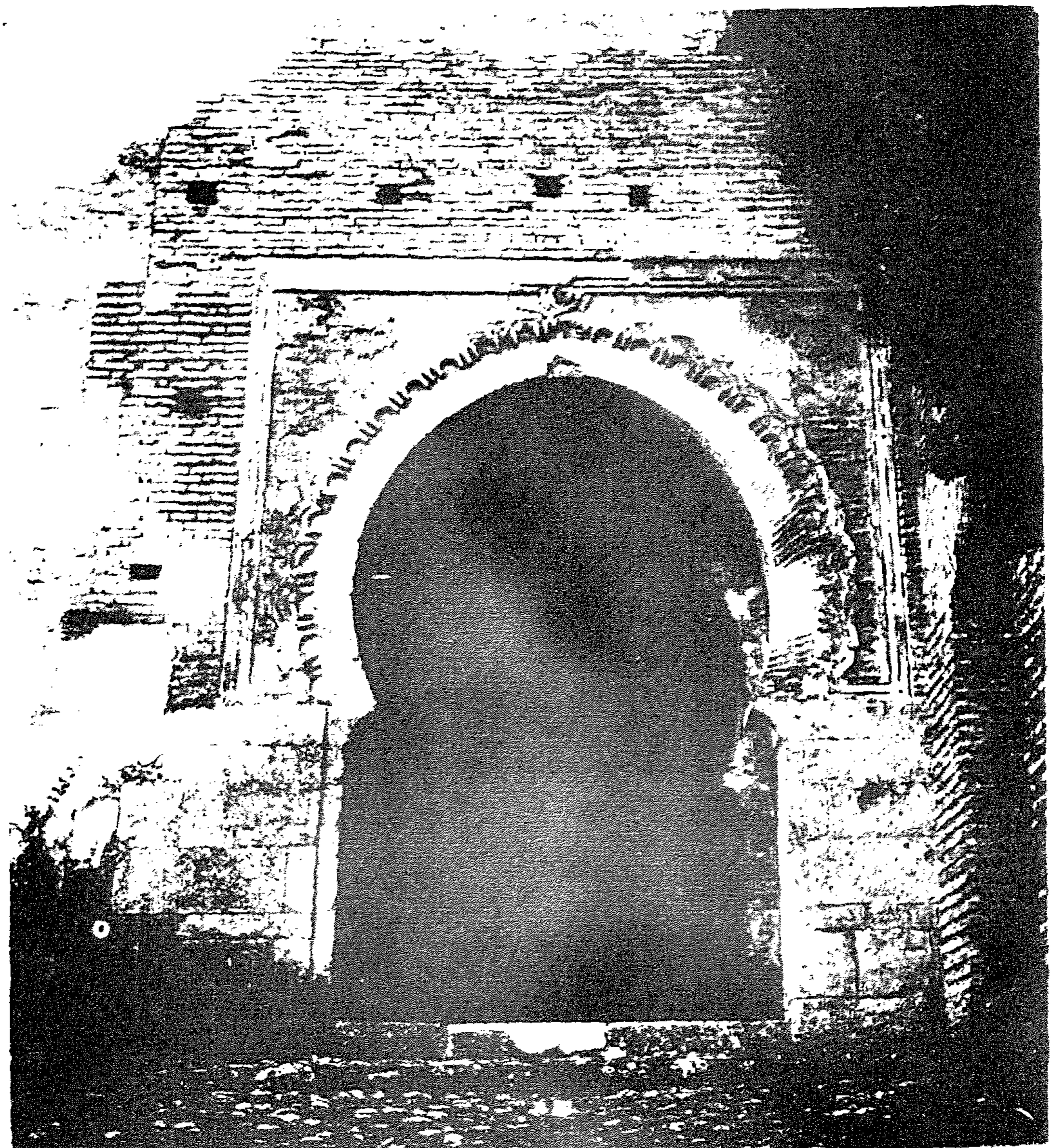

لوحة (٣)

باب السلاح بغرناطة (عن بافون)

<image_ ref="2" box="1:x0,x0,x0,image image,image,image,image,image,image,image,image,image,image,image,image,image,image,image,image,image,image,image,

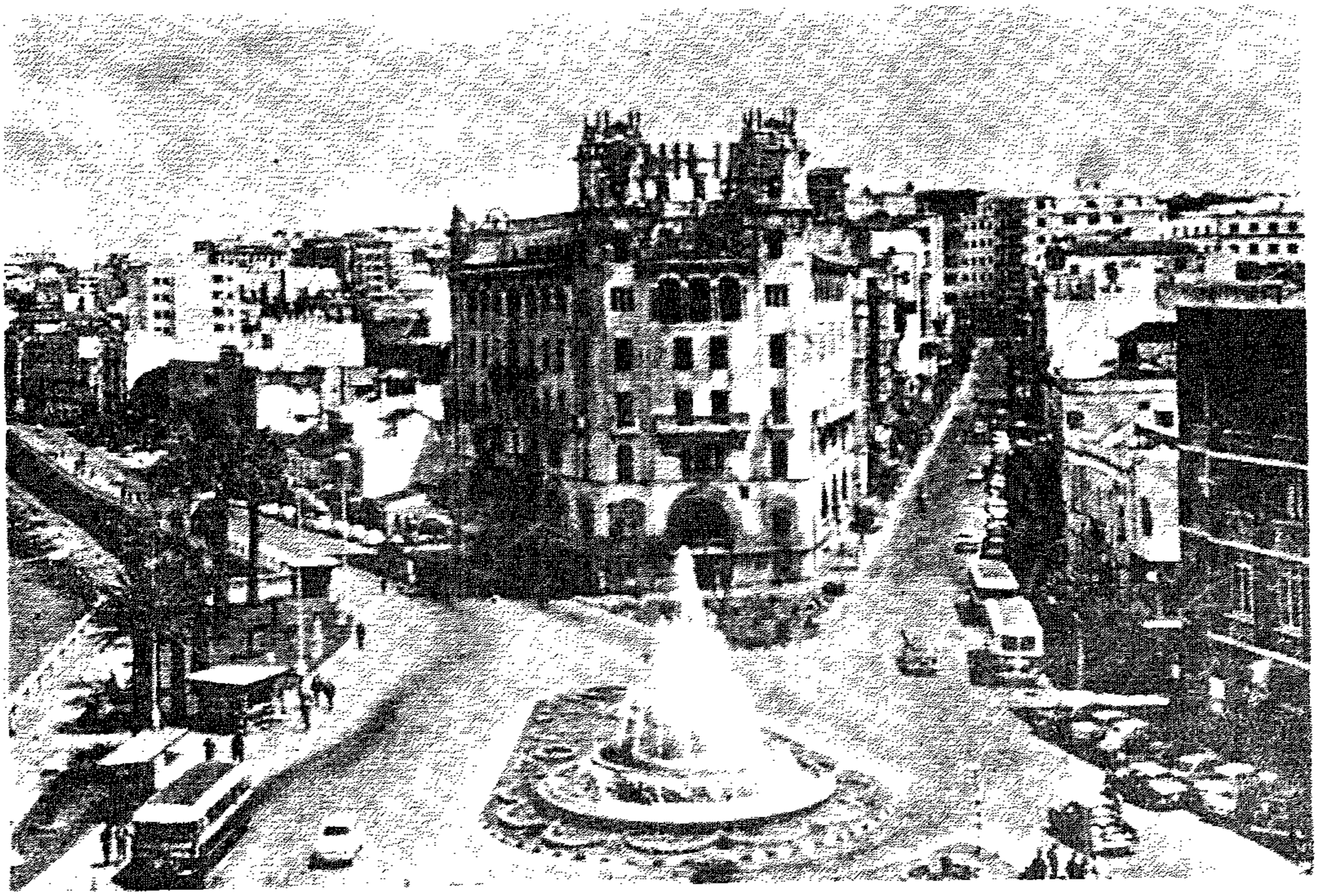

لوحة (٤)

أحد شوارع سبته المعروف بالشارع الكبير والى اليمن

كان يوجد زقاق ابن عيسى (عن عبد الوهاب بن منصور)

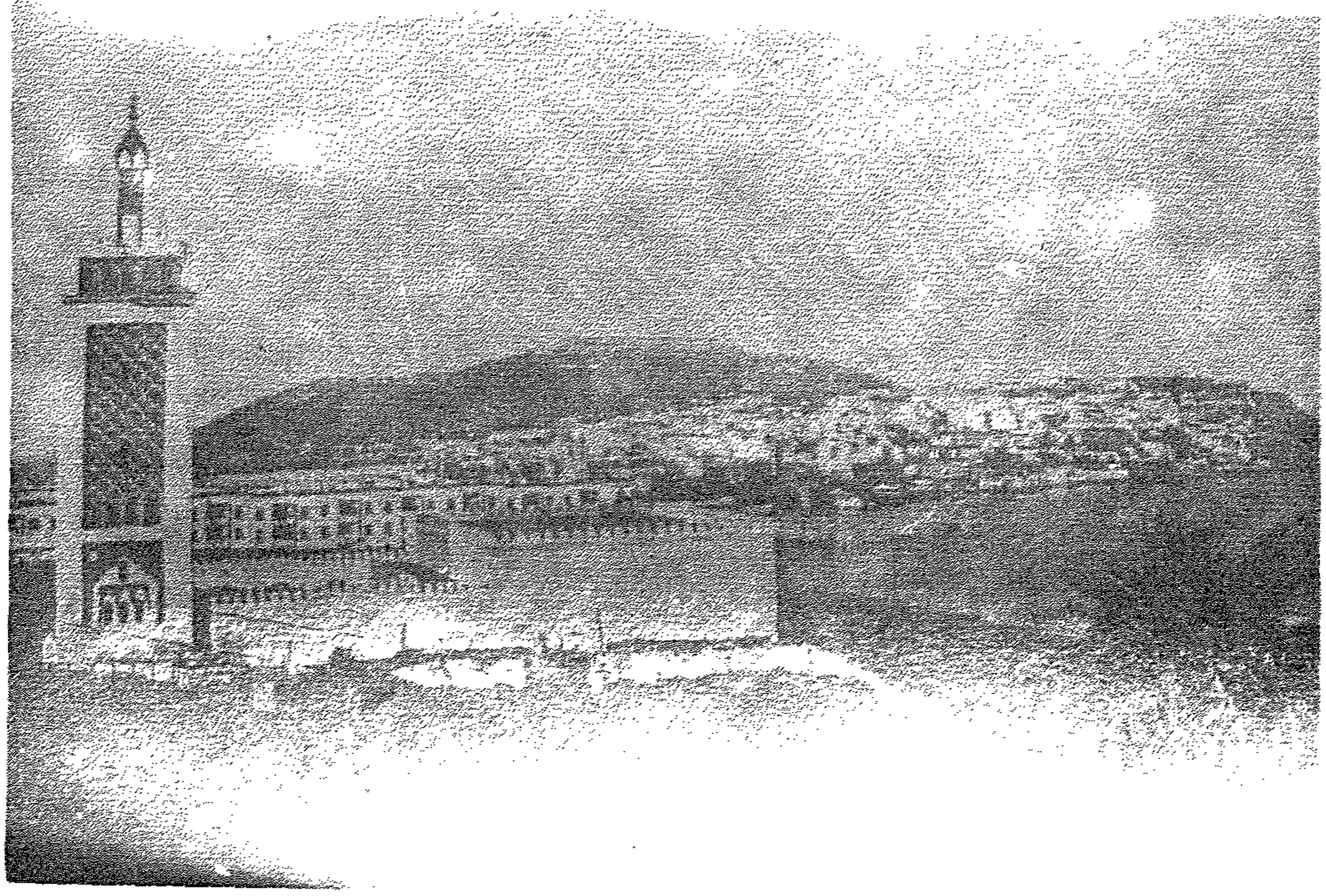

لوحة (٦)

مسجد حديث يمثل الأثر الإسلامى الوحيد بمدينة سبته

(عن عبد الوهاب بن منصور)

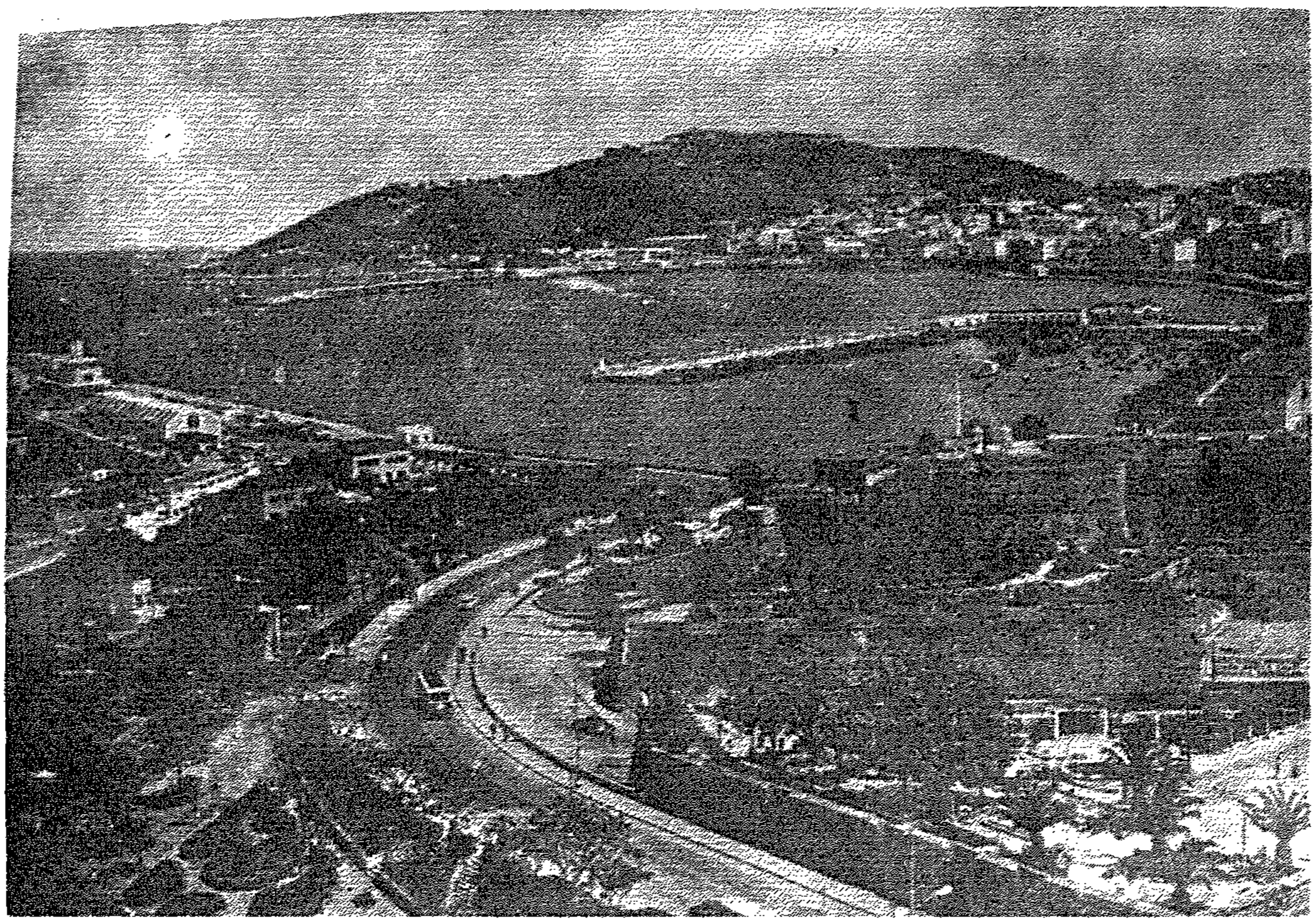

لوحة (٧)

منظر عام سبته

(عن عبد الوهاب بن منصور)

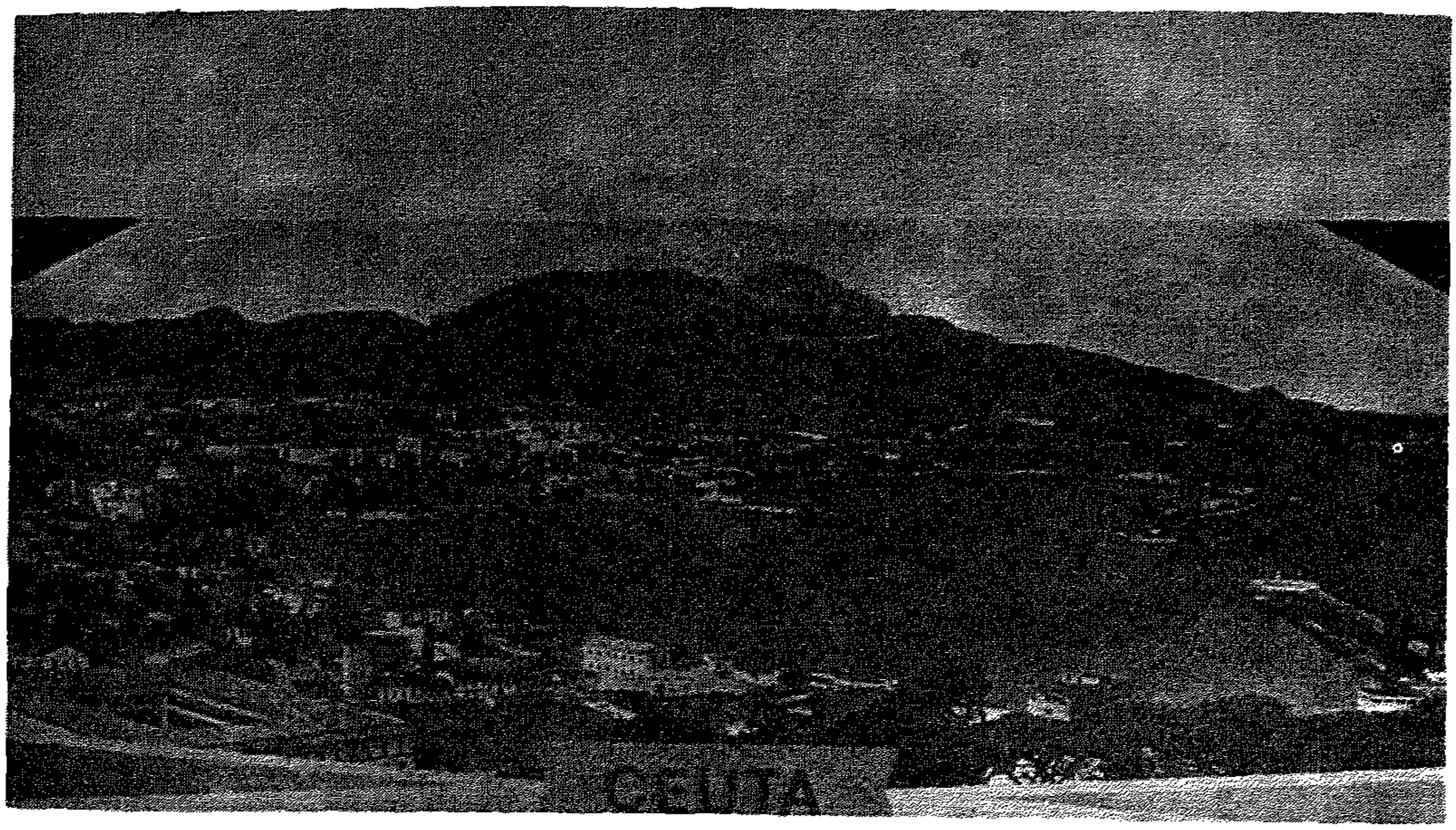

لوحة (٨)

منظر آخر لمدينة سبته وفى الخلفية يظهر جبل طارق

(عن عبد الوهاب بن منصور)

الهوامـش

(١) راجع البكرى (عبيد الله بن عبد العزيز) : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك . مكتبة المثنى بغداد (مصور من طبعة دى سلان . الجزائر ١٨٥٧ م .) ص ١٠٣حيث الإشارة إلى أن مدينة سبته مدينة قديمة سكنها الأول وبها آثارهم وبقايا كنائس وحمامات .

وكذلك راجع : مؤلف مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار . نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد . مطبعة الإسكندرية ١٩٥٨. ص ١٣٧ ، الحميرى (أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن عبد المنعم): الروض المعطار فى خبر الأقطار . تحقيق . د. إحسان عباس. بيروت . ١٩٨٤. ص ٣٠٣.

وقد اختلف المؤرخون حول تفسير اسم مدينة سبته فالبكرى والإدريسى يذكران بأنها سميت بهذا الاسم لأنها جزيرة منقطعة ، والبحر يطيف بها من جميع جهاتها إلا من ناحية الغرب ، والبحر يكاد يلتقى بعضه ببعض هناك ، ولم يبق بينهما إلا أقل من رمية سهم (راجع البكرى : المصدر السابق . ص ١٠٣) ، كذلك راجع الإدريسى (أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق . تحقيق مجموعة من العلماء . نشر مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة . بدون تاريخ . جـ٢. ص ٥٢٨ .

أما المقرى فيذكر نقلاً عن ابن سعيد بأن سبته سميت بهذا الاسم نسبه إلى سبت بن تافث ابن نوح) : المقرى (أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق د. إحسان عباس . بيروت ١٩٨٨. جـ١. ص ١٢٥. ويفيد ليو الأفريقى بأن الرومان كانوا يطلقون عليها اسم سيفيسطاس ، وسماها البرتغاليون سوتبة : ليو الأفريقى (الحسن ابن محمد الوزان الفاسى) : وصف أفريقيا ، ترجمة عن الفرنسية د. محمد حجى ، د. محمد الأخضر . منشورات الجمعية المغربية للتأليف والنشر دار الغرب الإسلامى . الطبعة الثانية ١٩٨٣.جـ١. ص ٣١٦. وفى رأى أحد الباحثين أن اسم سبته مشتق من الكلمة اللاتينية (سبتوم أو سبقوم) Septum بمعنى سبعة لأن سبته كما يذكر الأدريسى ، عبارة عن سبعة جبال صغار متصلة بعضها ببعض . (راجع الإدريسى . المصدر السابق . جـ٢. ص ٥٢٨ ، كذلك راجع . رضوان البارودى . التاريخ السياسى لمدينة سبته منذ القرن الرابع الهجرى حتى منتصف القرن السابع الهجرى . فصلة من المجلة التاريخية المصرية . المجلد السادس والثلاثون ١٩٨٩. ص ٣٥ - ٣٦ حاشية (١).

(٢) ابن الخطيب (لسان الدين) : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس (مجموعة رسائله) . نشر وتحقيق د. أحمد مختار العبادى . مؤسسة شباب الجامعة . إسكندرية ١٩٨٣ . ص١٠١ . هامش (١).

(٣) عندما سيطرت جيوش الدولة البيزنطية على مدينة سبته قام جستنيان بتحصينها عام ٥٣٥م. ومنذ ذلك التاريخ وولاة الدولة البيزنطية يقومون على حكمها إلى أن كان آخرهم يليان الكونت فى أواسط القرن السابع الميلادى ، والمشهور أنه كان مغربياً من قبيلة غمارة التى استمرت صاحبة هذه الجهات حتى فى العصر الإسلامى (راجع محمد ابن تاويت . تاريخ سبته . منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر . الطبعة الأولى. ١٩٨٢. (ص١٤ - ١٥) . وقد لعب يوليان دوراً هاماً فى تحريض العرب على فتح الأندلس حيث اتصل بطارق بن زياد حاكم طنجة وطلب منه فتح الأندلس . (راجع السيد عبد العزيز سالم . تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس . مؤسسة شباب الجامعة. إسكندرية ١٩٩٧. ص ٦٦- ٦٧ كذلك راجع . أحمد مختار العبادى . فى تاريخ المغرب والأندلس . مؤسسة شباب الجامعة . إسكندرية بدون تاريخ . ص ٥٤ - ٥٥) .

(٤) بعد فتح المسلمين للأندلس عن طريق سبته ساعدتهم الظروف فى ضم هذه المدينة إلى دائرة نفوذهم . وقد خضعت سبته لحكم قبيله غمارة وزعيمها ماجكس أوما جكن . كما كانت من المدن التى ولاها الإمام محمد بن ادريس الثانى عام ٢١٣هـ/٨٢٨م .

ولمزيد من التفاصيل عن أحداث تلك الفترة راجع : سعد زغلول عبد الحميد. تاريخ المغرب العربى : نشر منشأة المعارف . إسكندرية ١٩٩٠.جـ٢.ص١١٠-١١ ، كذلك جـ٣ ص٢١١، ٢٣٤ ، رضوان البارودى المرجع السابق . ص٣٩-٤٠ .

(٥) كان سليمان المستعين بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر قد عين على بن حمود على سبته عام ٤٠٣هـ/١٠١٣م . مكافأة له على انضمامه معه فى صراعه ضد الخليفة الأموى هشام المؤيد : ابن الخطيب : أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام . القسم الثانى . الخاص بأسبانيا الإسلامية . تحقيق أ. ليفى بروفنسال. بيروت. ١٩٥٦.ص١١٩ ولمزيد من التفاصيل راجع (سعد زغلول عبد الحميد. المرجع السابق . جـ٣.ص٥٠٦، ٥٠٨ .

(٦) عن سقوط البراغواطى وكيف قدر له أن يظهر فى هـذه الفـترة مـن تـاريخ سـبته . راجـع البكرى . المصدر السابق . ص١٣٤-١٤١ ، ابن عذارى المراكشى (أبو عبد الله محمد). البيان المغرب فى أخبـار الأندلـس والمغـرب. تحقيـق .ج.س. كـولان أ. ليفـى بروفنسـال بـيروت ١٩٨٣. جـ١ . ص٢٢٣-١٣٨، سـعد زغلـول. المرجـع السـابق . جـ٣ . ص ٥٠٨-٥٠٩، رضوان البارودى. المرجع السابق. ص ٥٧-٦٠.

(٧) لمزيد من التفاصيل عن تاريخ سبته خلال فـترة حكـم سـقوط الـبراغواطى . راجـع . ابـن بسام. المصدر السابق. م٢.ق٢.ص٦٥٨-٦٦٠، ابن خلدون (عبـد الرحمـن بـن محمـد) العبر وديوان المبتدأ والخبر. طبعـة بـولاق. ١٨٢٤. جـ١. ص١٥٧ رضـوان البـارودى : المرجع السابق ص ٦٠-٦٥.

(٨) راجع : ابن أبى زرع : الأنيس المطرب : ص٩٣. حيـث الإشـارة إلى أنـه بمجـرد دخـول سبته فى طاعة المرابطين خرج إليها يوسف بن تاشفين «فهدنها وأصلـح أحوالهـا وسـفنها ولحقت به العساكر والجنود وقدمت عليه الوفود».

(٩) ابن عذارى . البيان المغرب. قسم الموحدين . تحقيق كل من محمد ابراهيم الكتانى ، محمـد ابن تاويت ، محمد زنيبر ، عبد القادر زمامة . بيروت. ١٩٨٥ص ٢٤-٢٦، ولمزيـد مـن التفاصيل عن تاريخ سبته على عهد الموحدين راجع ابن خلدون. العـبر . جـ٦ ص٢٣٥. محمد بن تاويت : تاريخ سبته . ص ٦٥-٧٦.

(١٠) عن تاريخ سبته فى عهد الحفصيين راجع : أمين توفيق الطيبى. بنو العزفى أصحاب سبته بحث ضمن كتاب دراسات فى تاريخ مدينة سبته الإسلامية. طرابلس. بدون تاريخ . ص ٦٨-٧٦، محمد بن تاويت. تاريخ سبته . ص١٠٨-١٠٩.

(١١) يبدأ تاريخ ابن العزفى بفقيه سبتى هو أبو العباس أحمد العزفى الـذى يوصـف والـده أبـو عبد الله محمد بأنه كـان فقهيـاً وعالمـاً ومحدثـاً وقاضيـاً ، وقـد أعلـن سـلطانه علـى سـبته واستقل بها عن الحفصيين ٦٤٧هـ/١٢٤٩ م وظـل يحكمهـا حـوالى ثلاثـين سـنة إلى أن توفى عام ٦٧٧هـ /١٢٦٨م، ولمزيد من التفاصيل عن الظروف التى ساعدت أبـا العبـاس أحمد فى السيطرة على مدينة سبته ومدى حب وتقدير أهلها لـه راجـع . ابـن عـذارى . البيان المغرب. قسـم الموحديـن . ص٣٩٧ - ٣٩٩ ، كذلـك راجـع محمـد بـن تـاويت. المرجع السابق ص ١١٠ -١١٣ .

(١٢) أمين توفيق الطيبى . النشاط الاقتصادى والعلمى بمدينة سبته ، بحث ضمن كتاب دراسات فى تاريخ مدينة سبتة- ص٤٦ - ٤٧ ، كذلك راجع محمد بن تاويت. المرجع السابق ص ١٣٤ وما بعدها.

(١٣) نفس المرجع ص ٤٧- ٤٨ ، كذلك راجع :

جوليان شارل أندرى : تاريخ أفريقيا الشمالية . ترجمة : محمد مزالى والبشير بن سلامة : تونس ١٩٧٨ ص ٢٤٩.

(١٤) أمين توفيق الطيبى : احتلال البرتغاليين مدينة سبته المغربية (مقدماته ودوافعه ونتائجه) . (بحث ضمن كتاب دراسات فى تاريخ مدينة سبته) ص ١٣٧ .

(١٥) مؤلف مجهول : بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته من الدول المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب . تحقيق : عبد الوهاب المنصورى . الرباط ١٩٨٤ .

(١٦) مؤلف مجهول : بلغة الأمنية . ص٢٣ حيث الإشارة إلى أنه توفى فى عام ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م. وكان موضع أقرانه بمسجد القفال وكان يدير ظهره إلى جوار القبلة من بعد صلاه الصبح ويمشى دوله أثر دوله فى الفنون العلمية إلى أن تزول الشمس.

(١٧) نفس المصدر . ص٣١ -٣٢ . حيث الإشارة إلى أنه توفى فى عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م. وكان يحمل صحيح البخارى عن الحجار وهو سند عادل متصل السماع لانظير له فى المغرب .

(١٨) نفس المصدر. ص٤٤ - ٤٥ . حيث الإشارة إلى وفاته عام ٨٠٢هـ/١٤٠٠م وإلى أنه كان فقيهاً محدثاً حسابياً مشاركاً فى أصول الدين والنحو والتاريخ وكان متوددا للطلبة حسن التعليم والإلقاء .

(١٩) نفس المصدر : ص٥٥ - ٥٦ . حيث الإشارة إلى أنها قرأت الطب على صهرها الشيخ أبى عبد الله الشريشى ونبغت فيه .وكانت عارفة بالطب والعقاقير كما كان لها رباع تفتلها عهدت بتوقيفها فى وجوه البروسبيل الخيرات .

(٢٠) الأنصارى : اختصار الأخبار. نشر بروفنسال. ص١

(٢١) المصدر السابق . ص٣ .

(٢٢) محمد بن القاسم الأنصارى السبتى : اختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سنى الآثار تحقيق عبد الوهاب بن منصور . الطبعة الثانية . الرباط . ١٩٨٣ ص٧ .

(٢٣) المصدر السابق نشر بروفنسال . ص٩ . حيث الإشارة إلى أنـه استوعب وصف جامع سبته وذكر ما ينبغى أن يذكر من تاريخ وخبر فى بغية السامع من تأليفنا .

(٢٤) نفس المصدر . ص ١٤ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٦ .

(٢٥) نفس المصدر . ص٢ .

(٢٦) يظن الأستاذ عبد الوهاب بن منصور . أن الكتاب طبع بعد طبعة تطوان طبعتين أخريين إحداهما بطنجة والأخرى بالرباط ولكنه لم يشر إلى سنة الطبع ولا إلىاسم الناشر راجع الأنصارى . اختصار الأخبار . نشر عبد الوهاب بن منصور ص٨ .

(27) Joaquin Valve Bermejo : Descripcion de cetua Musulmana. En el siglo XV;, Alandalus vol, XXVII. Madrid 1912.

(٢٨) كمال عنانى إسماعيل : العمارة الإسلامية فى طليطلة فى العصر الإسلامى . رسالة ماجيستير (غير منشورة) إسكندرية ١٩٨٩ . ص ٦٣ .

(٢٩) شكل رقم (١) .

(٣٠) ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى) معجم البلدان . دار صادر بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٥. ص ١٨٣ .

(٣١) حبت الطبيعة مدينة سبته موقعاً استراتيجياً جعلها من أمنع مدن الغرب الإسلامى . فهى تقع على برزخ يصل اليابسة فىالغرب بشبه جزيرة الميناء فى المشرق . وتطل على البحر المتوسط من الشرق ويكتنفها خليجان أحدهما فى الشمال والثانى فى الجنوب بحيث لايمكن الوصول إليها براً إلا من الغرب . (راجع مؤلف مجهول الاستبصار . ص ١٣٧ حيث الإشارة إلى أن البحر قد أحاط بها (أى بسبته) شرقاً وجنوباً وقبله وليس لها إلى البر غير طريق واحد من ناحية الغرب لو شاء أهلها أن يقطعوه لقطعوه .

(٣٢) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب . ص ١٠٣ .

(٣٣) الكذان : أو كدان نوع من الحجارة البيضاء يستعمل فى تشييد الجدران وتبليط الأرضيات . وقد شاع استخدام هذا النوع من الحجارة فى بلاد المغرب والأندلس منذ عصر الدولة الأموية (عبد الرحمن غالب . موسوعة العمارة الإسلامية بيروت ١٩٨٨ ص ٣٢٣ .

(٣٤) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢ . ص ٢٠٤ .

(35) Carlos Gozalbes cravioto: ceuta Hispano portugesa (instituto de estudios ceuties):, cetua, 1993. p.p 93-94.

(٣٦) شكل رقم ٢ .

(37) Henri Terrasse: un vestige des fortifications omeiyades: Alandalus. v, XXVII. Fasc I. 1992. p, 245.

(٣٨) شكل رقم (١) أ ، ب .

(٣٩) الإدريسى : نزهة المشتاق جـ٢ ص ٥٢٨ ، مولف مجهول : الاستبصار ص ١٣٧ ، الحميرى : الروض المعطار . ص ٣٠٣ .

(٤٠) ابن أبى زرع : (أبو الحسن بن عبد الفاسى) : الزخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية. منشورات دار المنصور للطباعة . الرباط . ١٩٧٢ ص ٨٠ .

(٤١) شكل رقم (١) أ ، ب ، شكل رقم (٣) أ ، ب .

(٤٢) شكل رقم (٤) ، شكل رقم (٣) أ ، ب .

(43) Carlos Gozalbes : op .cit, p.p . 195-198 .

(٤٤) شكل رقم (٣) أ .

(٤٥) شكل ٤ .

(٤٦) شكل رقم (٣) أ ، ب ، شكل رقم (٤) .

(47) Carlos Gozalbes: op cit, p.p 193-194 .

(٤٨) شكل رقم (٥ ، ٦) ، شكل رقم (١) أ ، ب شكل رقم (٣) أ ، ب .

(٤٩) الأنصارى اختصار الأخبار . نشر بروفنسال . ص ٢٠ .

(٥٠) تقع هذه الروضة عند رابطة الفصيل ، وكانت تضم ثلاثين مقبرة دفن فيها كل أفراد أسرة الأشراف الحسينين الذين أتوا إلى سبته من صقلية ، وهناك صاهروا بنى العزفى أمراء سبته وبعد أسرة بنى العزفى نفوا إلى أسبانيا وظلوا تحت الحكم المسيحى إلى أن افتداهم السلطان أبو سعيد فعادوا إلى سبته واستقروا بها .

Joaquin vallva : opcit, p, 411. Not46.

(٥١) الأنصارى : نشرة بروفنسال ص٧ .

(٥٢) الأنصارى : نشرة بروفنسال ص٦ ، وكذلك راجع نشره محمد بن تاويت حيث الإشارة إلى أنه الشيخ الفقيه المشاور الخطيب الزاهد الشهير المعروف بالبركة الذى تراب ضريحه شفاء لذوى العاهات أبى عبد الله محمد بن مسعود المكى المعروف بابن الكنغر .

(٥٣) شكل رقم (٣) ب .

(٥٤) كلمة أفراك أو أفراق تعنى الحصن أو القصبة التى كان يوجد بهـا قصـر الحـاكم . وفيـه كانت تدار شئون المدينة والإقليم حيث كان يقيم السـلطان وحراسـه وحاشـيته (راجـع الأنصارى . نشرة بروفنسال ص٢٢) حيث الإشارة إلى أن منطقة أفراك كانت مخصصـة لسكن الأمراء والأجناد وغيرهم . وفى موضع آخر يشير الأنصـارى إلى أن أفـراك المدينـة كانت تمثل القصر الملوكى الذى أعده بنى مرين هناك لنزولهم. (الأنصارى . ص٢٠) . كذلك راجع ابن الحاج النميرى (فيض العباب وإفاضة قدح الآداب فى الحركة السـعيدة إلى قسطنطينة والزاب . (تحقيق محمد بن شقرون . الرباط ١٩٨٤ . ص٦٤-٦٧ .

(٥٥) هـو السـلطان فـارس المكنـى بـابى عنـان والملقـب بـالمتوكل علـى الله ولـد عـام ٧٢٩هـ/١٣٢٨ م بفـاس وثـار علـى أبيـه أى الحسـن بتلمسـان علـم ٧٤٩هـ/١٣٤٨ م واستولى علـى المغـرب الأقصـى وكـان محبـاً للعلـوم ومغرمـاً بالبنـاء وقـد توفـى فـى عـام ٧٥٩هـ/١٣٥٧ م بعد أن حكم سبع سنين وتسعة أشهر (ولمزيـد مـن التفـاصيل عنـه راجع: مؤلف مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبـار المراكشـية . نشـر غلـوس . ربـاط الفتح ١٩٣٦ . ص ١٥٠ (كذلك راجع أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر : روضة النسـرين فى دولة بنى مرين . مطبوعـات القصـر الملكـى . الربـاط ١٩٦٢ ص: ٢٧-٢٨ ، لسـان الدين بن الخطيب : نفاضة الجراب من غلالة الاغتراب) تحقيق أحمد مختـار العبـادى ومراجعة عبد العزيز الأهوانى . دار الكتب العربية بالقاهرة . بدون تاريخ) . ص ٧٤ حاشية (٥) .

(٥٦) الأنصارى : نشرة بروفنسال ص ١١ .

(٥٧) نفسه : ص ٢١ .

(٥٨) المقصود بالسبقة المسافة المحددة لرمـى السـهم (ج.س لثيـام موقـع سبته الاسـتراتيجى ووسائل الدفاع عنها فى أواخر الفترة الإسلامية . بحث ضمن كتاب دراسات فى تـاريخ سبته : ص ٣٤١ حاشية ٧٥ .

(٥٩) الأنصارى : المصدر السابق ص ٢٣ .

(٦٠) لوحة ١ ، ٢ .

(٦١) شكل رقم (٨) .

(٦٢) يطلق على هذا الأسلوب فى المصطلح الأسبانى اسم escalo de Los tres plano que integran el alzado التقسيم الثلاثى المتتابع والمقصـود تقسـيم الامتـداد الأفقـى

والرأسى لواجهات الأبواب إلى ثلاثة فواصل متساوية ثم تجزئة القسم المركـزى المصمـت بنفس الطريقة ، بحيث يتمكن المعمار من تحديد اتساع وارتفاع فتحة المدخل مـن خـلال تقسيم الاتساع الكلى للواجهة ، بحيث يكون ارتفاع فتحة الباب فى الغالب تساوى ربع الاتساع الكلى للواجهة . وقد طبق هذا النظام على نحو رائـع فـى أبـواب قصـر قمـارش بـالحمراء Antonio Fernadez puertas : La fachada del palacio de comares Granada McMLXXX, p. 34 وكذلك راجع كمال عنـانى إسمـاعيل عمارة القصور الإسلامية فى الأندلس وتطورها . رسالة دكتوراة غير منشورة إسـكندرية ١٩٩٥ . ص ٣٧٧-٣٧٨ .

(٦٣) لوحه رقم (٣) .

(64) Pavon Maldonado : opcit, p, 75.

(٦٥) شكل رقم (٣) أ .

(66) Carlos Gozalbes Cravioto : ceuta Hispano Protuguesa, p, 199.

(٦٧) قلهرات جمعها قلهرات Calahorra بمعنى قلعـة أو بـرج القلعـة - راجـع . Doz R supplement aux diccionnaires arabes, Tom, II leiden. Paris 1972. p. 401. وتعنى الكلمة فى اللغة الأسبانية القلعة الحرة أو البرج البرانى.

(٦٨) الأنصارى : نشرة بروفنسال ص ٢٠-٢١ .

(٦٩) شكل رقم (٩) .

(٧٠) شكل رقم (٤) حيث الإشـارة إلى المدخـل الأول برقـم (١) والمدخـل الثـانى برقـم (٢) والمدخل الثالث برقم (٥) .

(٧١) شكل رقم (٩) حيث الإشارة فى الرسم الافتراضى للبـاب إلى هـاتين السـاحتين برقمـى ٤، ٥ .

(72) Carlos Gozalbes: ceuto Hispano portuguesa p. 199.

(٧٣) أشار الأستاذ خواكين بالبين نقلاً عن الأستاذ أويثى ميراند فى - كتابه التاريخ السياسـى للموحدين بأن هذا الباب قـد أمـر بتشـييده أبـو العـلاء إدريـس ابـن السـلطان الموحـدى يوسف ابن عبد المؤمن عندما كان حاكماً على مدينة سبته وذلك فى الفترة من ٥٩٩هـ- إلى ٦١٨هـ. (راجع :

Joaquin vallve : Decripcion de ceuta en el siglo XV, p. 430. Not . 96.

(74) Henri Terrasse les Monuments de ceuta d'apres la Description D'Al-Ansari : Al-Alandalus : VXXVII, 1962 p, 444.

(٧٥) الأنصارى : اختصار الأخبار نشره بروفنسال ص١ .

(٧٦) شكل رقم (٣) أ (رقم ١٩) ويقع هذا الباب فى القطاع الشمالى من المدينة ويبدو من موقعه أنه كان يستعمل لتحصيل رسم خاص نظير المرور من خلاله Carlos Gozalbes : op .cit, 196 وربما يدعم هذا الظن أن سبته اشتهرت فى ميدان التجارة براً وبحراً بحيث احتلت مكان الصدارة بين موانى شمال أفريقيا وأصبحت محط رحلات المراكب من جنوة إلى أسبانيا وفرنسا. (امين توفيق الطيبى : النشاط الاقتصادى والعلمى بمدينة سبته المغربية، بحث ضمن كتاب دراسات فى تاريخ سبته ص ٤٩) .

(٧٧) الأنصارى : نشره بروفنسال ص٢٨ حيث الإشارة إلى أن هذا الباب كان أحد أبواب بحر أبى السول وكان يقع أمام ميضأة جامع سبته . وبمطالعة الخريطة الموضحة لمعالم مدينة سبته ، يتضح أن هذا الباب كان يقع فى القطاع الجنوبى من المدينة (شكل رقم (٣) أ ، (رقم ٩) . ويبدو أن الهدف من إقامة هذا الباب هو تصريف مياه الأمطار المتدفقة فى هذه المنطقة لتنحدر نحو بحر أبى السول حتى لا تكتسح مياه الأمطار المنشآت التى كانت قائمة فى تلك المنطقة لاسيما جامع المدينة . وكان يتقدم هذا الباب برج يعرف ببرج الماء، شيده السلطان المرينى أبو الحسن ، بهدف التحكم فى حركة المراكب التى كان تحط فى ساحل سبته الجنوبى (راجع ابن مرزوق (محمد التلمسانى) المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبى الحسن : الجزائر ١٩٨١ . ص٣٩٩ .

(٧٨) الأنصارى : نشره بروفنسال ص٢١ .

(٧٩) نفس المصدر ص٢٢ .

(٨٠) نفس المصدر ص٢٥ .

(٨١) شكل رقم (٣ أ (رقم ١٠) وتجدر الإشارة إلى أن موقع هذا الباب خارج المدينة يتفق مع ما جرت عليه العادة فى معظم مدن الغرب الإسلامى حيث كان القصابون أو اللحامون (الجزارون أو باعة اللحوم) يشترون الدواب حية من تجار المدينة ثم يسوقونها إلى مذابح تقع خارجها ، ثم تحمل إلى حوانيت القصابين بالسوق (السقطى) (أبو عبد الله محمد بن أبى محمد) كتاب آداب الحسبة نشر كولان وليفى بروفنسال . باريس ١٩٣١ . ص٩٠) وكانت حوانيت القصابين فى سبته تقع بالقرب من الباب المذكور ،

فكان ذلك سبباً فى أن يطلق اسمهم على الحى الذى كان يرتبط بذلك الباب عبر طريق يصل بينهم (شكل رقم (٣ أ - رقم ١٣) .

(٨٢) الأنصارى : نشره بروفنسال ص ٢١ .

(٨٣) ليفى بروفنسال : سلسلة محاضرات عامة فى آداب الأندلس وتاريخها . ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة ومراجعة عبد الحميد العبادى . المطبعة الأميرية ١٩٥١ . ص٨٩ .

(84)Torres Balbas : ciudades Hispano Musulmanas Pulibicado Por instituto Hispano arabe de cultura Madrid. Sin Fecha V.I. p, 179.
Torres Balbas : aspectos de la ciudades Hispano Musulmanas : Revista del instituto Egipcio de Estudios islamicos en Madrid Vol, II, Madrid. 1954. p 92.

كمال عنانى إسماعيل : العمارة الإسلامية فى طليطلة فى العصر الإسلامى ص ٧٨-٧٩.

(٨٥) الحارة فى اللغة محلة متصلة المنازل تدل على معنى الحومة (أى الحى) فى عرف أهل المغرب . أما فى العامية المغربية فتدل على حفير تلقى فيه جيف الدواب ، يكون بعيداً عن المدن حتى لا تؤذى السكان (الأنصارى : اختصار الأخبار نشرة عبد الوهاب بن منصور ص٤٣ هامش ٨٧ .

(٨٦) اختلفت الآراء حول تفسير كلمة (الكسابون) فمنهم من يرى بأن صحتها الكناسون (الأنصارى: اختصار الأخبار نشرة محمد بن تاويت . ص٥٨ هامش ٥٧) بينما يرى الأستاذ خواكين بالين أن المقصود بالكسابين هم رعاة البقر ، والقصابون أى باعة اللحوم (الجزارون) . ودليله على ذلك أنه ورد فى المدونات المسيحية ما يشير إلى أنه كان يوجد فى هذا الموضع حظيرة مسورة للمواشى ، يشغل مكانها الآن رصيف يعرف برصيف أسبانيا ، حيث ترسو عبارات أو مراكب الجزيرة الخضراء . Joaquin Vallve: opcit, p. 429 No T . 93. (راجع شكل رقم (٣ أ رقم (١٣) حيث الإشارة إلى مكان القصابين .

(٨٧) شكل رقم (٣) أ رقم (١٥) حيث الإشارة إلى موضع حافة الغدر .

(٨٨) الأنصارى : نشرة بروفنسال ص٢٠ ، كذلك راجع شكل رقم (٣) وشكل رقم (١) أ ، ب .

(89) Carlos Gozalbes : ceuta Hispano Portuguesa, p. 195.

(٩٠) الأنصارى . ص١٤ .

(٩١) شكل رقم (٤) .

(٩٢) Carlos Gozalbes: opcit, p.p 195 - 196.

(٩٣) الأنصارى : نشره بروفنسال ص٦ .

(٩٤) هذا الكتاب فى فضل النبى ﷺ وفضل صحابته . ويقال إنه أقدم مؤلف مغربى معروف إلى الآن . ويوجد منه الجزء الثانى محفوظا بالخزانة الحسنية تحت رقم ٥٧٣٣ وكان فى ملك عبد العزيز بن أبى بكر بن عبد الكبير الفرديسى . (راجع الأنصارى اختصار الأخبار . نشره عبد الوهاب بن منصور ص٢٢ . حاشية (٣١) .

(٩٥) الأنصارى : نشره بروفنسال ص٦ .

وعن ترجمات شخصيات العلماء وأصحاب تلك المقابر راجع ص٢٣ من نشرة عبد الوهاب بن منصور .

(٩٦) الأنصارى : نشرة بروفنسال ص ١١ .

(٩٧) نفس المصدر ص ١٤ (شكل رقم ((١٠) رقم (٨))) .

(٩٨) نفس المصدر ص٢٢ وكذلك راجع شكل رقم ((١٠) حيث ورد فى المخطط الخاص بمراكز عمران مدينة سبته أن منطقة الأرباض الثلاثة الداخلية كانت تضم أيضاً مسجداً يعرف بمسجد الموثقين Mezquita de lo Notarios (رقم ١٠) نسبة إلى موضع يعرف بسماط العدول الموثقين القريب من سوق العطارين (الأنصارى : ص١٤) . كما ورد فى المخطط ما يشير إلى وجود المدرسة الجديدة (رقم ٥) وحمام القائد (رقم ٤) وباب الربض الأسود (رقم ١٦) فى تلك المنطقة .

(٩٩) جمع حفير وهو الخندق ، وينطق به عوام المغرب مبربراً (١ حفير) راجع نشره عبد الوهاب بن منصور ص٤٦ . هامش (٩٨) .

(١٠٠) جمع شطاب وصانع الشطابة أى المكنسة (راجع نشره عبد الوهاب بن منصور ص٤٦. هامش ٩٨ .

(١٠١) يبدو أن تلك السلسلة من الحفائر قد أقيمت بصورة رئيسية لدرء أى هجوم قد يقع من ناحية الغرب فأول عائق كان يترتب تذليله على القوات المهاجمة من هذه الناحية هو الربض البرنى ، وهناك كان يترتب عليها أن لا تواجه التحصينات فحسب بل أيضاً حفيراً يحيط بها وكان من ورائه حفير ثان يفصل الربض البرانى عن بقية سبته . (ج.د.

ليثام . موقع سبته الاستراتيجى . ترجمة أمين توفيق الطيبى « بحث ضمن كتاب دراسات فى تاريخ سبته ص٢٧ .

(١٠٢) الأنصارى : نشره بروفنسال ص٢١ .

(١٠٣) لمزيد من التفاصيل عن سمات شوارع مدن المغرب الإسلامى ونظامها التخطيطى راجع Torres Balbas : aspectos de las ciudades, p. 93 - Torres Balbas : ciudades Hispano Musulmanes. V,I p.p 327 - 328 p. 335 p, 340.

(١٠٤) الأنصارى : نشرة بروفنسال ص١٢ .

(١٠٥) هو محمد بن عيسى بن حسين التميمى السبتى ويكنى ابا عبد الله ، وكان من أهل العلم والفضل وتولى القضاء بسبته وبفاس أيضاً . وقد توفى فى سنة ثلاث أو أربع وخمسمائة وقيل فى سنة « خمسة » وخمسمائة « وكان مولده سنة » ثمان وعشرين وأربعمائة (راجع ابن بشكوال . (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) كتاب الصلة «نشر الدار المصرية» للتأليف والترجمة . « القاهرة » ١٩٦٦ . جـ٢ . ص٦٠٥ ترجمة رقم ١٣٢٧) . (راجع شكل رقم (٣ أ رقم (٢٠) ، شكل رقم (١٠ رقم (٩) .

(١٠٦) هو إبراهيم بن أبى العيش بن يربوع السبتى ويكنى أبا إسحاق ، وكان من فقهاء سبته فى القرن الخامس الهجرى . وقد توفى فى سنة ٤٣٠هـ (ثلاثين وأربعمائة) وهو ابن ثمان وسبعين سنة وقيل أنه توفى سنة ٤٣٣هـ (سنه ثلاث وثلاثين وأربعمائة) . راجع ابن بشكوال جـ١ نفس المصدر . ص١٠١ ترجمة رقم (٢٣٠) .

(١٠٧) الأنصارى : نشرة بروفنسال ص١٣ . أما أبو القاسم بن الشاط فقد ولد بمدينة سبته عام ٦٤٣هـ/١٢٤٥ م وتوفى بنفس المدينة عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣ م . (راجع ترجمته فى (Joaquin Vallve. Opcit, p. 420. Not. 74

(١٠٨) نفس المصدر ص ١٥ .

(١٠٩) وردت فى نشرة محمد بن تاويت بأنه خندق أيمن ص ٨٤ .

(١١٠) الأنصارى : نشره بروفنسال ص١٢ ويوجد مكان هذا الخندق الآن أحد أودية المدينة. راجع . Joaquin vallve: Opcit. 420. Not 70

(١١١) الأنصارى : ص١٣ .

(١١٢) شاع فى بلاد المغرب والأندلس الاستعانة بهؤلاء الداربين فى حماية الأزقة من اللصوص حيث أكد على ذلك المغزى بقوله (لأن بلاد الأندلس لهادروب بإغلاق تغلق

بعد العتمة . ولكل زقاق بائت فيه له سراج معلق وكلب يسهر وسلاح معد . وذلك لشطارة عامتها وكثرة شرهم واغياتهم (راجع المقرى (أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . تحقيق : إحسان عباس . دار صادر بيروت ١٩٨٨ . جـ١ ص٢١٩ ، ومن طريف ما يذكر أن عادة إغلاق الأبواب مازالت متبعة حتى الآن فى أسبانيا منذ الساعة العاشرة ليلاً بواسطة درابين يعرفون باسم سيرنيوس Serenos وعلى كل من يريد الخروج أو الدخول أثناء الليل أن ينادى هذا الحارس الليلى بواسطة التصفيق (راجع أحمد مختار العبادى : الحياة الاقتصادية فى الدولة الإسلامية . مقال ضمن كتاب تاريخ الحضارة الإسلامية العربية . الطبعة الثانية دار ذات السلاسل ١٩٨٦. ص٣١٥ .

(١١٣) الأنصارى : ص١٣ حيث الإشارة إلى زقاق ابن عيسى أشهر أزقة مدينة سبته والمعروف عندهم بزقاق الأكابروية يضرب المثل بينهم متسع المساحة يحتوى على أزقة ودروب وقصور ملوكية ومصانع هائلة وفيه أربعة وعشرون حماماً ، حمامان مبرزان وباقى العدد بدور السادة من الشرفاء.

(١١٤) الأنصارى : ص١٥ - ١٧ .

(115) Carlos Gozalbes cravioto: La Madinao Nuclo urbano central en la ceuta Hispano Musulmana , cuadernos del archivo Municipal de ceuta año, II No, 4. 1989. p,. 47.

(١١٦) شكل رقم (١٠) رقم ٩ ، لوحة (٤) .

(١١٧) الأنصارى : ص١٣ .

(١١٨) شكل رقم (١٠) رقم ٨ .

(١١٩) شكل رقم (١٠) رقم (١٠) .

(120) Carlos Gozalbes: opcit, p.p 47 - 48.

(121) I Bid. P, 47 .

(١٢٢) الأنصارى : ص١٤ حيث الإشارة إلى سوق العطارين الأعظم وسماط العدول الموثقتين المتصل حيث المدرسة الجديدة وكلاهما بجوفى الجامع الأعظم والقيسارية خلف ذلك . وفى موضع أخر أشار الأنصارى إلى أهمية تلك المنطقة بمناسبة حديثه عن سقايات المدينة بقوله (وعدد السقايات خمس وعشرون سقاية أبدعها صنعة الساقية التى بطرف العطارين وأول سماط العدول بازاء باب الشوائين من أبواب الجامع) . الأنصارى ص١٧.

(١٢٣) لم يرد فى نشرة ليفى بروفنسال تاريخ صناعة هذا المنبر فى المتن وإنما أشار فى الحاشية إلى ذلك هكذا (فى الطره كان صنع هذا المنبر فى شعبان المكرم سنة ٤٠٨هـ (الأنصارى نشرة بروفنسال - ص٩) على حين ورد تاريخ صناعة هذا المنبر فى المتن فى نشرة كل من محمد بن تاويت وعبد الوهاب بن منصور على النحو التالى (ودرجات المنبر اثنتا عشرة درجة صنع فى شعبان المكرم سنة ثمان وأربعمائة) راجع نشرة محمد بن تاويت ص٨٢ ، نشرة عبد الوهاب بن منصور ص٢٨ .

(١٢٤) تضمنت نشرة كل من ابن تاويت وعبد الوهاب بن منصور الإشارة إلى تاريخ صناعة المقصورة المذكورة على النحوالتالى (والمقصورة الهائلة الغريبة الشكل (كان صنعها فى رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمائة (٤٢٨هـ) . راجع نشرة ابن تاويت ص٨٢ ، نشرة عبد الوهاب بن منصور ص٢٨ .

(١٢٥) الأنصارى : نشرة بروفنسال ص٩ .

(١٢٦) شكل رقم (٣) أ (رقم ٢) ، شكل رقم (١٠) رقم (٣) .

(127) Carlos Gozalbes: la Medina o Nucleo urbano central en la ceuta hispanomuslmana. p. 63

وكذلك راجع أمين توفيق الطيب. احتلال البرتغاليين مدينة سبته المغربية ٨١٨هـ/١٤١٥م مقدماته ودوافعه ونتائجه (مقال ضمن كتاب دراسات فى تاريخ مدينة سبته الإسلامية ص١٣٣ .

(١٢٨) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقيه والمغرب ص١٠٣ - ١٠٤ ، وكذلك راجع (مؤلف مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار) ص١٣٧ ، الحميرى : الروض المعطار ص٣٠٢ .

(129) Joaquin vallve: Decripcion de ceuta Musulmana. p. 414. Not. 56.

(١٣٠) مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ص ٥٨ - ٥٩ .

(١٣١) ابن عذارى البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب جـ٤ تحقيق إحسان عباس بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٣ ص٥٨ .

(١٣٢) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ٦٧ .

(١٣٣) الأنصارى : نشرة بروفنسال ص٩ .

(١٣٤) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص٥٩ .

(١٣٥) عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة جـ١ ص٣٢٠ .

Christin Ewert: Die Moschee am Bab al Mardum in toledo. Emi kopic. der Moschee vceu cordoba. Hidberg 1994. p. 352.

كمال عنانى إسماعيل : العمارة الإسلامية فى طليطلة فى العصر الإسلامى ص ٢٢٤.

(١٣٦) هو عياض بن موسى بن عياض اليحصبى من أهل سبته ويكنى أبا الفضل ، وقد كان من كبار أعلام سبته إذا كان من أهل العلم والذكاء واليقظة ، وقد تولى قضاء سبته مدة طويلة حمدت سيرته فيها ثم نقل منها إلى قضاء غرناطة . وقدم إلى قرطبة فى ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة . وقد ولد فى منتصف شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة وتوفى أواسط سنة أربع وأربعين وخمسمائة (لمزيد من التفاصيل راجع ابن بشكوال كتاب الصلة القسم الثانى ص٤٥٣ - ٤٥٤ - ترجمة رقم ٩٧٤) .

(١٣٧) عياض (أبو الفضل عياض بن موسى) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك . تحقيق أحمد بكير محمود منشورات دار مكتبة الحياه بيروت ١٩٦٥ ص١٩ .

(١٣٨) الأنصارى : نشرة بروفنسال - ص٩ .

(139) Terrassi: les Monuments de ceuta, p. 445

(١٤٠) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريفيه والمغرب ص١٠٣ .

(١٤١) أحمد فكرى : مساجد الإسلام (مسجد القيروان) نشر دار المعارف . القاهره ١٩٣٩ ص١٩ .

(١٤٢) أحمد فكرى : المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها جـ١ نشر دار المعارف ١٩٦٩ ص٣٥٨ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى . نشر مؤسسة شباب الجامعة . إسكندرية. ١٩٨٢ ص٣٥٢ .

(١٤٣) سالم : قرطبة . جـ١ . ص ٣٤٨ .

(١٤٤) الأنصارى : نشرة بروفنسال ص١٠ - ١١ أما عن أبى القاسم العزفى فهو محمد بن أحمد بن محمد اللخمى العزفى ولد بسبته فى منتصف شوال . عام ٦٠٧هـ/١٢١٠م . وتولى إمارتها فى ٢٧ رمضان عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩ م فى دولة الخليفه الموحدى المرتضى. وتوفى فى ١٣ ذى الحجه عام ٦٧٧هـ/١٢٧٨ م . وهو الذى أكمل كتاب الدر المنظم فى مولد النبى المعظم الذى بدأ والده القاضى أحمد العزفى تأليفه (راجع . المقرى ،

أزهار الرياض . جـ٢ . ص٣٧٤ - ٣٧٧ ، كذلك راجع . اختصار الأخبار. نشره عبـد الوهاب بن منصور ص٣٠ هامش (٥٠) .

(١٤٥) الأنصارى : نشره بروفنسال . ص٦ .

(١٤٦) الأنصارى : نشره بروفنسال . ص٣ .

(١٤٧) نفس المصدر . ص٥ .

(١٤٨) نفس المصدر . ص ١٠ .

(١٤٩) نفس المصدر . ص٢١ .

(١٥٠) نفس المصدر ص ٢١-٢٢ حيث وصـف الأنصـارى المصلى الكبـير بقولـه (وأشـرفها وأسناها المصلى الكبرى مصلى المدينة . ومن ما اتصف به هذا المصلـى كونهـا (كونـه) خارجة عن المدينة داخلة فى حكمها فوجه خروجها أنها خلف السور فـى بـراح متصـل بأرض عظيمة الاتساع مشتملة على جنات ودمن ومجاشر وجبال وخنادق وشعار وسوى ذلك دور الجميع سته أميال فصارت المصلى فى حكم الصحراء على السنه فى ذلك) .

(١٥١) نفس المصدر . ص٢٢ .

(١٥٢) نفس المصدر ص٢٢ حيـث أشـار الأنصـارى إلى اتصـل اسـخدام المصلـى الكبـير فـى أوقات الفتن بقوله (ووجه دخولها هو أن البراح الموصوف بما اتصل به منقطع فى وسـط البحر فلا يلحق أحد فى هذه المصلى خوف من عدو عاد ولا تتعطل من إقامة الصلاة فى أيام الفتن والقتال ، وفـى حالـة الحصـر والـنزال بخـلاف غيرهـا) . ويبـدو أن الأحـداث السياسية والحربية التى تعرضت لها سبته فى عصورها المتتابعة أثرها المباشر فى تشييد هـذا النوع من المصليات .

(١٥٣) نفس المصدر . ص٢٢ حيث أشـار الأنصـارى إلى المصلـى الملكـى بمدينـة سـبته بقولـه (وفيها بأعلى حافة الغدر المصلـى الملوكيـة المتسـعة المسـتوية الأرض المشـرفة علـى البحـر هنالك المختصة بسكان أفراك من الأمراء والأحناد وغيرهم وبها كان يصلى السلطان أبـو الحسن المرينى بجيشه) .

(١٥٤) نفس المصدر . ص٢٢ .

(١٥٥) محمد بن تاويت : تاريخ سبته . ص ٨٨ .

(١٥٦) أمين توفيق الطيب : النشاط الاقتصادى والعلمى بمدينة سبته المغربية . ص ٥٥ .

(١٥٧) البكرى : المغرب فى وصف أفريقيا والمغرب . ص ١٠٣ .

(١٥٨) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب . ص١٠٢ .

(١٥٩) المقرى : نفح الطيب . جـ٤ . ص١٤٥ .

(١٦٠) نفس المصدر . جـ٣ . ص ١٨٦ .

(١٦١) هو على بن محمد بن على بن محمد بن يحيى الغافقى من أهل سبته وبها ولد ويعرف بالشارى نسبة إلى شاره فلين معقل بجوفى مرسيه ومنها أصل سلفه وكان انتقال والده محمد منها إلى سبته سنة ٥٦٢هـ حيث سمع من العلماء والأدباء بسبته وفاس وغيرهما من بلاد المغرب (راجع اختصار الأخبار . نشره عبد الوهاب بن منصور ص ٢٧ حاشية (٤٤) - وقد أشار ابن الخطيب إلى شخصية الشيخ على الشارى بما يفيد بأنه كان جماعه للكتب وذلك بقوله (انتقى منها جمله وافره فى مدرسته التى احدثها وعين لها من خيار املاكه وجيد رباعه وقفاً صالحاً سالفاً فىذلك ما بين أهل المشرق راجع ابن الخطيب الإحاطة فى أخبار غرناطة - تحقيق محمد عبد الله عنان - القاهرة ١٩٧٧ - جـ٤ ص١٨٨) ولمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية راجع محمد بن تاويت . تاريخ سبته ص ٨٨ ، Joaquin vallve: Descripcion ceuta Musulmana p, 409. Not. 34

(١٦٢) الأنصارى : ص٩ أما السلطان المرينى أبو الحسن فهو أبو الحسن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق (تولى فى الفترة من (٧٣١هـ/١٣٣٠ م - إلى ٧٤٩هـ/١٣٤٨ م) وقد كان مجاهداً فى سبيل الله واستطاع أن يوحد المغرب تحت سلطانه ثم اتجه بجيوشه نحو الأندلس لغزو الأراضى المسيحية ، غير أن الجيوش الأسبانية انتصرت عليه فى موقعه بالقرب من مدينة طريف وذلك فى عام ٧٤١هـ/١٣٤٠ م . وبعد هذه الهزيمة ثار المغرب الأوسط عليه كما ثار عليه ابنه فارس أو عنان . ولم يتحمل السلطان أبو الحسن هذه الكوارث المتلاحقة فمات حزيناً شهيداً عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨ م) . ولهذا السلطان آثار معمارية كثيرة فى المغربين الأوسط والأقصى وبالأندلس . ومن آثاره الهامة بسبته فضلاً عن المدرسة الجديدة برج الماء ببحر السول من ساحل سبته الجنوبى (ولمزيد من التفاصيل عن هذا السلطان راجع ابن مرزوق : المسند . ص٣٣٩) وقارن تاريخ وفاته فى كتاب روضة النسرين فى دولة بنى مرين لأبى الوليد إسماعيل بن الأحمر ص ٢٥ حيث الإشارة إلى أنه توفى بعد التاريخ الذى حدده ابن مرزوق وذلك فى عام ٧٥٢هـ/١٣٥١ م ،

كذلك راجع المقرى : المصدر السابق . جـ٤ . ص٤٠٠-٤٠٤ ، ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب ص١٢٣ - ١٢٤ حاشية (٤) .

(١٦٣) الأنصارى - ص٩ .

(١٦٤) ربما قصد بها ميضأه المدرسة التى من المحتمل أنها كانت تشتمل إلى جانب تلك المطهرة على مراحيض عبر عنها الأنصارى بالبيوت الثمانية . فالميضأه فى عرف أهل المغرب اسم جامع لمكان التغوط والوضوء ويسمى أيضاً مطهرة أى مكان الطهارة وإذا كان خاصاً بالتغوط سمى بيت الماء . وكلمات المرحاض والكنيف والمستراح كلمات عربية طرأت حديثاً على ألسنة الناس (راجع اختصار الأخبار نشره : عبد الوهاب بن منصور . ص٤٠ حاشية (٤٥) .

(١٦٥) المقصود بهذا النقير الأحواض أو الصهاريج الخاصة بحفظ المياه . وقد تعنى فى رأى الأستاذ عبد الوهاب بن منصور كتلة من الحجر أو الرخام منقورة الوسط تكون بالميضأت والمطاهر ينصب فيها ماء الاستنجاء من عيون أو أنابيب (الأنصارى : اختصار الأخبار . نشره عبد الوهاب بن منصور . ص٤١ حاشيه (٧٧) .

(١٦٦) يطلق على هذه الكلمة فى اللغة الأسبانية Azulejas أى الزليج بمعنى القراميد أو البلاطات الخزفية وتعرف فى العراق باسم القاشانى وفى مصر باسم الزليزلى (محمد عبد العزيز مرزوق . الفنون الزخرفية فى المغرب والأندلس بدون تاريخ ص٧٦ - ٧٨حاشية(١) . كما تسمى عند الأوربيين بالمزيكو ويقال فى بعض المدن المغربية الزلايج وصانعه زلايجى جمع زلايجيه واشتقوا منه زلج المضعف . ويقال زلج فلان دار بمعنى رصفها بالزليج (راجع اختصار الأخبار نشره عبد الوهاب بن منصور ص٤١ حاشية (٤٨) .

(١٦٧) قد يكون صحتها مونقة حيث وردت على هذا النحو فى نشره عبد الوهاب بن منصور . راجع ص٤١ .

(١٦٨) البابونج نبات عشبى من فصيلة المركبات يستعمل فى الصباغة أو التداوى (المعجم الوسيط جـ١ . الطبعة الثالثة بمجمع اللغة العربية . ص٣٧ . وقد فسر أحد مؤرخى الفن نور البابونج على أنه التوريقات النباتية التى كانت تكسو قبه الميضأة والتى كانت منقوشة نقشاً غائراً بحيث تجسمت فبدت لمن يتأملها كأنها رسوم حيه مجسدة) .

Corlos Gozalbes - Ia Medina o Nuclo urbano central en La ceuta p. 55.

(١٦٩) الأنصارى . ص١٨ .

(170) Mascarenilas: jeronimo de Historia de la ciudad de ceuta. Iisboa. 1918. p. 17.

(171) Carlos Gozalbes . op. cit, p. 56

(172) Mascarenilas: Op .cit, p.p 24 -25 .

(١٧٣) راجع هامش (٨) من البحث ص٢٩ .

(174) Carlos Gozalbes: opcit. p. 58.

(١٧٥) شكل رقم ((١١) .

(176) Carlos Gozalbes: opcit. p.p 59 - 60

(١٧٧) الأربطة مفردها رباط وتجمع على أربطة ورباطات وربط . وهى لفظة تعنى فى الأصل إعداد الخيل وربطها وملازمة ثغور العدو تأهباً للجهاد فى أية لحظة . وعلى هذا فإن الرباط بناء عسكرى دينى شيد ليكون مقراً للمجاهدين في سبيل الله . ولكن مع فتور الهمم أصبح مأوى للمنصرفين إلى ذكر الله وللمتعيشين على نفقة السلطان ولأبناء السبيل (عبد الرحيم غالب موسوعة العمارة الإسلامية ص١٩٥-١٩٦) ولهذا فقد كانت تشمل مساكن لهؤلاء الزهاد ومسجد لأداء الصلوات . وكانت إلى جانب أنها مؤسسات صوفية كانت أيضاً معاهد علمية لتدريس العلوم الدينية . وكان لكل رباط شيخ يرأسه وله خادم يتولى العناية بالرباط . وعلاوة على دور الربط فى حماية الثغور والسواحل كانت تستخدم أيضاً كمراكز للإنذار وإرسال الأخبار الملحة فى حالة تعرض البلاد للخطر . ويؤكد ذلك قول المقريزى (ولما ولى إبراهيم بن محمد بعد الأغلب أفريقية فى سنة احدى وستين ومائتين حسنت سيرته فكانت القوافل والتجار تسير فى الطريق وهى آمنة . وبنى الحصون والمحارس على ساحل البحر حتى كانت توقد النار من مدينة سبته إلى الإسكندرية فيصل الخبر منها إلى الإسكندرية فى ليلة واحدة وبينهما مسيرة أشهر) (راجع المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . نشر مكتبة الثقافة الدينية . الطبعة الثانية. ١٩٨٧ م جـ١ ص١٧٤ . وعن الاشارات التى كانت تستخدم فى إرسال الأخبار يذكر المقدسى (وفى كل رباط قوم يعرفون لسانهم ويذهبون إليهم من الرسالات ويحمل إليهم أصناف الأطعمة فإن كان ليل أوقدت منارة ذلك الرباط وإن كان نهاراً دخنوا . ومن كل رباط إلى القصبة عدة منابر شاهقه قد رتب فيها أقوام فتوقد المنارة التى للرباط ثم التى تليها ثم الأخرى فلا يكون ساعة إلا وقد انفز بالقصبة وضرب الطبل على المنارة) ، راجع المقدسى (شمس الدين بن عبد الله محمد المقدس) أحسن

التقاسيم فى معرفة الأقاليم : طبعة ليدن ١٩٠٦ م ، دار صادر بيروت ص١٧٧ . ولمزيد من التفاصيل عن الرباط : نشأته وتطوره راجع (فريد شافعى العمارة العربية فى مصر الإسلامية (عصر الولاة) المجلد الأول نشر الهيئة المصرية ١٩٧٠ ص ٥٢٩ - ٥٣١ ، كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر . الطبعة الثانية . نشر الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٣ . ص ٩ ، حسين مجيب المصرى : أثر الفرس فى حضارة الإسلام ، مقال ضمن دراسات فى الحضارة الإسلامية . جـ١ . القاهره ١٩٨٥ ص١٩٦ .

(١٧٨) تقابل الزاوية فى المغرب الإسلامى الخانقاه فى المشرق أى أن كليهما يودى وظيفة واحدة كمبان للمتصوفة الذين يريدون أن يقضوا بقية حياتهم للعبادة . ويؤكد تطابق وظيفة الزاوية فى المغرب مع وظيفة الخانقاة فى المشرق ما ذكره ابن بطوطة عن كثرة الزوايا فى مصر بقوله (وأما الزوايا فكثيرة وهم يسمونها الخوانق واحدتها خانقة والأمراء بمصر يتنافسون فى بناء الزوايا) (راجع ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . تحقيق محمد عبد المنعم العريان . ومراجعة : مصطفى القصاص. بيروت . الطبعة الثانية ١٩٩٢ .جـ١ ص٥٦ ، محمد محمد الكحلاوى : آثار مصر الإسلامية فى كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين. الدار المصرية اللبنانية . الطبعة الأولى ١٩٩٤ . ص٩٧ .

(١٧٩) اشتد تيار التصوف بمدينة سبته منذ عهد المرابطين وازداد عدد المتصوفة سواء منهم السبتيون أصلاً ومنشأ والأندلسيون الوافدون عليها مقيمين أو عابرين . ومن بين أشهر هؤلاء المتصوفه أبو العباس أحمد العزفى الذى كان فقيهاً وعاملاً محدثاً وقاضياً(راجع المقرى . أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض . القاهرة ١٩٤٠-١٩٤٥ جـ٢ ص٣٧٥. وقد تولى التدريس طيلة حياته فى المسجد الجامع بسبته . ويشتهر أبو العباس أحمد العزفى بأنه كان أول من أدخل الاحتفال بعيد المولد النبوى الشريف إلى الأندلس (راجع المقرى نفس المصدر جـ١ ص٣٩ ،٢٤٣) ولمزيد من التفاصيل عن انتشار تيار التصوف وكثرة المتصوفة بمدينة سبته راجع محمد بن تاويت : تاريخ سبته . ص٦٠-٦٢.

(١٨٠) وردت هذه الكلمة فى نشرة عبد الوهاب بن منصور (شرجباً) وهى عبارة عن نافذة تفتح فى جدار بيت أو غرفة للتهوية والتزيين . وقد تثبت بها قضبان من حديد فى أشكال جميلة لمنع الدخول منها والخروج تسمى حينئذ شباك . وإذا كانت مجرد كوة صغيرة فهى الطاقة ، ويكتب الأدباء الشرجب وينطقون به بشين مثلثة وعند العوام بسين

(راجع الأنصارى ، نشرة محمد بن تاويت ص٣١ هامش (٥٣) وكذلك راجع ابن الرامى : الإعلان بأحكام البنيان دراسة أثرية معمارية ، تحقيق محمد عبد الستار عثمان نشر دار المعرفة الجامعية . إسكندرية ١٩٨٩ . ص ١٨٦ .

(١٨١) الكذان : نوع من الحجارة فيها رخاوة وربما كانت نخرة مثل الأحجار الرملية الموجودة بشطوط الأنهار ومجارى المياه وتسمى الكذان بالبربرية (تافزة) وقد يطلق على الصلصال المتحجر المنعقد من صعود البخار داخل الأباريق والبراريد عند غليان الماء وهو ما يسمى عند البربر أيضاً (بتافكرة) (راجع الأنصارى : نشرة محمد بن تاويت ص٣١ حاشية رقم (٥٤) . وقد عم استخدام هذا النوع من الحجارة فى بلاد المغرب والأندلس لاسيما فى بناء الجدران وتبليط الأرضيات (عبد الرحيم غالب : المرجع السابق . ص٢٣) .

(١٨٢) فريد شافعى . العمارة العربية ص ٥١٣ .

(١٨٣) الأنصارى نشرة بروفنسال ص ١١حيث الإشارة إلى هذا الرباط بقوله (وإلى جانبها (أى رابطة الصيد) رابطة أخرى على شكلها ومثالها وفى وسطها القبر المعروف بقبر حيدة (صيدة) جارية لأحد أمراء الموحدين . وعلى القبر قطعة رخام أبيض فى طول أثنى عشر شبراً وارتفاع خمسة أشبار أو ما يقرب منها وبجوانبها خمسة أدراج منجورة ظريفة الصنعة .

(١٨٤) المقرى : ترتيب المدارك . جـ١ . ص١٩ .

(١٨٥) الأنصارى : نشرة بروفنسال ص١١-١٢ حيث الإشارة إلى هذه الزاوية بقوله (ومن الزوايا الزاوية الكبرى التى ابتناها السلطان الأشهر مولانا أبو عنان بن أبى الحسن بخارج باب فاس وأعدها هنالك للغرباء ولمن اضطر إلى المبيت بها من التجار أو غيرهم . ملوكية البناء كثيرة الزخرفة والتنميق متسعة المساحة متعددة المساكن وصومعتها من أبدع الصوامع بسبته وأتمها إحكاماً).

(١٨٦) البكرى : وصف أفريقية . ص١٠٣ .

(١٨٧) يطلق على القصبة الأسبانية Alcazaba أو المدينة Almudiana تصغير للفظ مدينة والاسم الثانى وإن كان أقل شيوعاً من الأول فهو كثير فى مختلف مدن أسبانيا الإسلامية (محمود على مكى : مدريد العربية . وزارة الثقافة . المؤسسة المصرية العامة للتأليف

والنشر . دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بدون تاريخ ص٧٤-٧٥ ويلاحظ أن كلمة قصبة لها معنى آخر حيث كانت تطلق على الشارع الأعظم فى بعض المدن كالقاهرة ، وأحياناً أطلقت على قطاع مستوى من هذا الشارع الأعظم بها وكان له صفة تجارية بارزة كأن يقال قصبة رضوان وكانت تطلق أيضاً على المدن الكبيرة وفى الأقاليم كأن يقال صنعاء قصبة بلاد اليمن (راجع . محمد عبد الستار عثمان . المدينة الإسلامية . عالم المعرفة . (الكويت) . عدد ١٢٨ . أغسطس ١٩٨٨ . ص١٦٧ .

(١٨٨) ليفى بروفنسال : سلسلة محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها . ترجمة محمد عبد الهادى شعيره ومراجعة عبد الحميد العبادى . مطبوعات كلية الآداب . جامعة فاروق الأول إسكندرية . ص٧٩ ، ٩٦-٩٧ .

(١٨٩) راجع ص ٣٥٦ هامش ٥٤ من البحث .

(١٩٠) ابن خلدون . تاريخ ابن خلدون . بيروت ١٩٧٩ جـ٧ . ص٢٤٧ .

(191) Carlos Gozalbes: opcit. p. 50.

(192) Pavon Maldonado: arte Hispano Musulman en ceuta ytetuan p.72 .

(١٩٣) شكل رقم (٣) ب (رقم ١١) .

(١٩٤) شكل رقم (٣) أ (رقم ١٢) .

(١٩٥) شكل رقم (١٢) .

(١٩٦) شكل رقم (١٣) .

(١٩٧) البكرى : وصف أفريقيا . ص ١٠٣ حيث الإشارة إلى هذا البرج وبابه بقوله (ولها باب ثانى مما يلى الجوف فى برج يعرف ببرج سابق يدخل منه إلى دار الإمارة).

(198) Carlos Gozalbes : opcit. p.p 49-50

(١٩٩) الأنصارى : اختصار الأخبار نشرة بروفنسال . ص ١٤، ١٨ .

(٢٠٠) نفس المصدر . ص١٩ حيث الإشارة إلى عدد المطامير (أى مكان طمر القمح خاصة وخزن الغلال) المعدة لخزن الزرع والتى تبلغ أربعون ألفاً مفترقة بالديار .

(٢٠١) نفس المصدر ص١٤ حيث الإشارة إلى أنه كان بكل دار من ديار سبته حمام ومسجد إلا القليل .

(٢٠٢) المصدر السابق ص ١٩-٢٠ .

(203) Torres Balbas: algunos aspectos da la casa Hispano musulmano. Alandalus. V,XV. 1950 p. 185 .

(204) Torres Balbas : ciudades Hispanomusulmanas V,I p. 31 .

(205) Torres Balbas: opcit. p. 179.

وكذلك راجع كمال عنانى إسماعيل ، العمارة الإسلامية بمدينة طليطلة ص١٦٤ .

(٢٠٦) الأنصارى : اختصار الأخبار . نشرة بروفنسال ص١٥ .

(٢٠٧) الأنصارى نفس المصدر . ص ١٣٥ .

(٢٠٨) ربما صحتها المئات .

(٢٠٩) المسلخ لغويا يعنى المكان المخصص للراحة وتناول المشروبات وكانت تعقد فيه حفلات السمر (عبد الله البستانى . معجم البستان . جـ١ بيروت ١٩٢٧ ص ١١٢١-١١٢٢ وقد تعنى خلع الثياب والتأهب للأنتقال إلى الغرفة الثانية ثم ارتداء هذه الثياب قبل الخروج من الحمام . ولذلك فهى تقابل فى الحمامات الرومانية Apdoyierum وفى هذه الحالة كانت تزود بخزائن أو طاقات غير نافذة توضع فيها الملابس ولوازم المستحمين (عبد الرحيم غالب . موسوعة العمارة الإسلامية ص١٤٠) . وقارن الأنصارى اختصار الأخبار . نشر محمد عبد الوهاب منصور ص٣٤ حاشية (٦٣) حيث الإشارة إلى أن المسلخ تعنى المكان الذى يجرد فيه المستحمون من ثيابهم قبل دخول الحمام. ويسمى اليوم فى العامية المغربية الجلسة .

(٢١٠) وردت فى نشرة عبد الوهاب بن منصور هذه الكلمة على أنها (مرتبة بدلاً من مؤلفه) ص٣٤ .

(٢١١) المراد هنا بالطيفور الجفنة أو الحوض أو البيله/ الرخامية المستديرة المرتفعة التى يفور منها الماء وينزل إلى الصهريج (راجع الأنصارى : اختصار الأخبار . نشره عبد الوهاب ابن منصور ص٣٥ حاشية (٦٤) , أما الطيفور أو التيفور فيعنى فى المصطلح الفنى الطبق أو الصحن الكبير العميق الذى يقدم فيه الطعام لاسيما اللحم . وقد انتقل هذا اللفظ العربى إلى اللغة الأسبانية بهذه الكلمة Ataifor . وكان هذا اللفظ يدل فى غرناطة الإسلامية على نوع من الموائد الصغيرة (سيكودى لو ثينا : وثائق عربية غرناطية : صحيفة المعهد المصرى فى مدريد ١٩٥٦ . ص١٧٧ حاشية (١) .

(٢١٢) الأنصارى : المصدر السابق . ص ١٣-١٤ .

(٢١٣) تنقسم حمامات المغرب والأندلس إلى نوعين ، الأول يتألف من أربع قاعات هى بيت المسلخ والبيت البارد والوسطانى والساخن ، أما النوع الثانى فلا يشتمل على قاعة المسلخ التى كان يستعاض عنها بممر طويل مقبى يفضى إلى الغرف الثلاثة الأخرى

(Pavon Maldonado: Tratado de Arquitecturea Hispano Musulmana. Madrid 1990. p. 311.)

(٢١٤) كمال عنانى إسماعيل : الحمامات الإسلامية فى الأندلس (دراسة أثرية) بحث تحت الطبع .

(٢١٥) ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبى) : كتاب صورة الأرض . طبعة ليدن ١٩٣٨ . ص ٧٨-٧٩ .

(٢١٦) البكرى : وصف أفريقيا . ص ٣-١-٤-١ .

(٢١٧) الادريسى : نزهه المشتاق . جـ٢ . ص٥٢٨ .

(٢١٨) مؤلف مجهول : الاستبصار . ص ١٣٧-١٣٨ .

(٢١٩) قارن نشرة عبد الوهاب بن منصور ص٤٠ حيث الإشارة إلى هذه الكلمة على أنها العنابيب بدلا من الأنابيب والعنبوب فى نطق عوام المغرب لفه فى أنبوب يقصد بها القناه التى يخرج بها الماء مطلقاً من القادوس إلى الساقية . وإذا كان الماء يخرج منها مقيداً بإدارة لولب سميت بزبوراً أى ما يعادل الحنفيه أو الصنبور عند أهل المشرق (راجع نفس المصدر . ص ٤٠ هامش (٧٣) .

(٢٢٠) أى للعموم مجاناً بدون مقابل . وأهل المغرب يطلقون كلمة السبيل على كل مرفق من المرافق العامة أو لكل شئ معد للعموم . حيث يقال جنان السبيل للحديقة العمومية ، وكذلك ماء السبيل ، واشتقوا من الكلمة فعل سبل المضعف ومعناه إعطاء الشئ وهبته من غير مقابل حيث يقال سبل فلان قربه الماء وسبل نفسه فى سبيل الله (راجع اختصار الأخبار. نشره عبد الوهاب بن منصور . ص ٤٠ هامش (٧٤) .

(٢١٢) الأنصارى : اختصار الأخبار نشره بروفنسال . ص ١٧ - ١٨ .

(٢٢٢) محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية .ص ٢٨١ .

(٢٢٣) ابن سعيد المغربى . كتاب الجغرافيا . بيروت . ١٩٧٠ ص١٣٩ نقلاً عن أمين توفيق الطيبى النشاط الاقتصادى والعلمى بمدينة سبته ص ٤٨ حاشية (١٨) .

(٢٢٤) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب . ص ١٠٢ .

(٢٢٥) ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد) : رحله ابن جبير . دار صادر بيروت ص٨ حيث الإشارة (فلما كان ظهر يوم الثلاثاء من اليوم الثانى يسر الله علينا فى عيون البحر إلى القصر مصمودة تيسيراً عجيباً . ونهضنا منه إلى سبته غدوة يوم الأربعاء الثامن والعشرين منه والفينا بها مركباً للروم الجنويين مقلعاً إلى الأسكندرية بحول الله عزوجل فسهل الله علينا فى الركوب منه) كذلك ص ٤٨ حيث الإشارة (ويمكن أن يجد مركباً من الروم يقلع إلى سبته أو سواها من بلاد المسلمين) .

(٢٢٦) ابن عذارى : البيان المغرب من أخبار الأندلس والمغرب . قسم الموحدين . تحقيق محمد ابراهيم الكتانى ، محمد بن تاويت ، محمد زنبير ، عبد القادر رزمامه . نشر دار الثقافة للنشر والتوزيع . الدار البيضاء . الطبعة الأولى ١٩٨٥ . ص ٣٥٠ .

(٢٢٧) المقرى . جـ٣ ص ١٣١ ، كذلك راجع : أمين توفيق الطيب . المرجع السابق ص٥٠.

(٢٢٨) ابن بطوطه : المصدر السابق رحل . ص ٦٤٩-٦٥٠ .

(٢٢٩) أندرية جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ترجمة محمد مزالى . والبشير بن سلام . تونس ١٩٧٨ . ص ١٦١ ، أمين توفيق الطيب . المرجع السابق .ص٤٩ .

(٢٣٠) ابن حوقل . صورة الأرض . ص ٧٩ حيث الإشارة إلى أنه كان يعمل من المرجان بسبته قويريات لطاف .

(٢٣١) الأدريسى : نزهة المشتاق . جـ٢ .ص ٥٢٩ .

(232) Torres Balbas : cuidades hispano musulmana V.I.P. 301 .

كمال عنانى إسماعيل . العمارة الإسلامية فى طليطلة . ص ١٨٠ .

(٢٣٣) كان يقع هذه السوق فى الشارع المعروف الآن باسم شارع خوادينس

Call de: jaudenes - carlos Gozalbes; La Madima o Nuclo urbano central en la ceuta Hispano Musulmana p. 40

شكل رقم (١٠) (رقم ٨) .

(٢٣٤) كانت صناعة التحف المعدنية لاسيما النحاسية من أهم الصناعات التى ازدهرت بمدينة سبته وذاعت شهرتها بحيث صار انتاجها من التحف النحاسية يصدر إلى إيطاليا وقد عبر الحسن الوزان عن هذا الازدهار فيما دونه عن سبته بقوله (وفيها عمال مهره فى المصنوعات النحاسية كالشمعدانات والجنان والمحاجر وغيرها . فكانت هذه الأشياء تباع كما لو كانت من الفضة . وقد رأيت بعضها فى ايطاليا وكثير من الناس يظنون أنها من

صنع دمشق راجع : الحسن بن محمد الوزان الناسى المعروف بليو الأفريقى : وصف أفريقيا. ترجمة محمد حجى ، محمد الأخضر . دار الغرب الإسلامى بيروت ١٩٨٣ الطبعة الثانية جـ١ ص٣١٧ .

(٢٣٥) شكل رقم (١٠ (رقم ١٢) والمقصود به هو السوق المخصص لبيع الملابس المستعمله وكان يقع فى وسط المدينة بالقرب من مسجدها الجامع . ومثل هذ النوع من الأسواق المخصصة لبيع الملابس القديمة عم انتشاره فى معظم مدن الأندلس لاسيما غرناطة وأشبيلية ومالقه والغريب أن الأنصارى يؤكد أنه كان مخصص لبيع الأوانى النحاسية Carlos Gozalbes : opcit. p. 43.

(٢٣٦) الأنصارى اختصار الأخبار . نشرة بروفنسال ص ١٤ - ١٥ .

(٢٣٧) السيد عبد العزيز سالم : العمارة المدنية بالأندلس . دائرة معارف الشعب . العدد ٦٤ ، ١٩٥٩ ص١٤٤ - ١٤٥ ، كذلك راجع أحمد الطوخى . القيساريات الإسلامية فى مصر والمغرب والأندلس . فصله من مجله كلية الآداب . جامعة الإسكندرية العدد ١٨ سنة ١٩٨١ ص ٩٢ - ٩٥ Torres Balbas ; Alcaicerias. Alandalus, v, XIVI p. 434 كمال عنانى إسماعيل . العمارة الإسلامية فى طليطلة . ص١٩٤ .

(٢٣٨) الأنصارى : اختصار الأخبار : نشرة بروفنسال ص١٤ ، شكل رقم (٣ أ رقم (٧) ، شكل رقم (١٠) رقم (١٢) .

(239) Carlos Gozalbes: La Medina o Nucleo urbano central en la ceuta. p.p 41 - 42 .

(٢٤٠) الأنصارى . المصدر السابق . ص ١٥ .

(٢٤١) محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية . ص ٢٦٢ كذلك راجع عبد الرحيم غالب. موسوعة العمارة الإسلامية ص ١٠١ . ((ويقال فى بعض المدن أيضاً التربيعة سوق صغير مربع الشكل رقم يشتمل على عديد من حوانيت الحرارين والخياطين وأمثالهم . وهو ليس كاطرزه الصناعة ولا كأسواق التجارة ولا كالازقة العمومية بل هو بينها جميعاً. ولا تزال بفاس تربيعات معروفة بهذا الاسم إلى اليوم أشهرها تربيعة العطارين راجع الأنصارى . اختصار الأخبار : نشرة عبد الوهاب بن منصور . ص ٣٧ حاشية(٦٧) .

(٢٤٢) جمع طراز وهو مكان صنع الثياب الرقيقة كثياب السلطان . ودلالته فى المغرب أوسع فهو يشمل أماكن صنع الثياب وتوشيتها كما يشمل أماكن خرز الأحذية وتنميق المصنوعات الجلدية . وينطق به عوام المغرب دراز بقلب الطاء ذالاً ويجمعونه على درازات ويطلقونه أحياناً مجازاً وتهكماً على الحبس (راجع الأنصارى . اختصار الأخبار . نشر عبد الوهاب بن منصور ص ٣٧ حاشية (٦٨) .

(٢٤٣) الأنصارى . اختصار الأخبار نشرة بروفنسال . ص ١٥ .

(٢٤٤) ليو الأفريقى : وصف أفريقيا . جـ١ . ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(245) Joaquin vallve : opcit, p.p 423. Not . 82

(٢٤٦) ابن بطوطه . المصدر السابق ص٧٢ حيث الإشارة إلى أن الفنادق فى المغرب تعرف فى المشرق باسم الخانات .

(247) Torres Balbas : aspectos de las ciudades, p. 92 .

عبد العزيز سالم : العمارة المدنية . ص ١٤٣ ، كمال عنانى . العمارة الإسلامية فى طليطلة ص ١٩٥ ولمزيد من التفاصيل عن الفنادق نشأتها وتطورها ونظامها المعمارى ، راجع : أمال العمرى : المنشآت التجارية فى القاهره فى العصر المملوكى . رسالة دكتوراه كلية الآثار جامعة القاهره ١٩٧٤ ص١٣٩ وما بعدها . ابن الرامى الإعلان بأحكام البنيان . تحقيق محمد عبد الستار . ص ١٩٨ ، د. عبد الرحيم غالب : موسوعة العمارة الإسلامية . ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٢٤٨) الأنصارى . اختصار الأخبار . نشرة بروفنسال ص١٦ .

(٢٤٩) نفس المصدر . ص١٦ حيث الإشارة إلى الفندق الذى بناه أبو القاسم العزفى بأنه معداً لاختزان الزرع .

(٢٥٠) نفس المصدر . ص١٦-١٧ حيث أشار الأنصارى إلى نموذج من هذه الفنادق وهو فندق غانم بقوله (ويليه فى الكبر من الفنادق المعدة لسكن الناس من التجار وغيرهم الفندق المعروف بفندق غانم يشتمل على ثلاثة طباق وثمانين بيتاً وتسع مصريات وهو قديم أظنه من بناء المرابطين) .

(٢١٥) نفس المصدر . ص١٧ .

(٢٥٢) جمع مقصر ويقصد بها ورش صباغة الملابس وتطلق على المكان الذى تدق فيه الثياب وتحور وتبيض والكلمة فارسية الأصل . وقد كان لحرفة القصارة أهمية فى المغرب القديم ولكنها اندثرت الآن . ولم يبق ما يذكر بها إلا بعض الألفاظ المشتقة منها كالقصار . اسم أسرة شهيرة . والقصرية هو الأنية التى تقصر فيها الثياب (الأنصارى . اختصار

الأخبار . نشره عبد الوهاب بن منصور ص ٤٩ حاشيه (١٠٢) ، وكذلك راجع Joaquin vallve : op . cit p .435 أمين توفيق الطيبى : النشاط الاقتصادى والعلمى بمدينة سبته . ص ٥٢.

(٢٥٣) الأنصارى . اختصار الأخبار . نشرة بروفنسال ص ٢٤ .

(٢٥٤) يعكس ذلك بوضوح وصف الأنصارى لمقاصر سبته بقوله : (ولكل مقصر برج من أبراج السور خاص به تحط فيه الأمتعة ليلاً وتنشر نهاراً فلا يخاف عليها طول المدة من لص) راجع الأنصارى . اختصار الأخبار ص ٢٤ .

(٢٥٥) الأنصارى . نشر بروفنسال ص ٢٤ .

(٢٥٦) الأنصارى . نفس المصدر . نشرة عبد الوهاب بن منصور . ص ٤٩ حاشية (١٠٣) .

(٢٥٧) الأنصارى . نفس المصدر ص ٣٧ حاشبة (٦٩) .

(٢٥٨) اشتهرت مدينة سبته بأسلحة الرمى حتى صارت بعض الأسر تتوارث صناعتها . ومما ذكره الأنصارى عن مهنة الرمى يتضح بانها كانت مهنة شريفه ومحترمة حيث عبر عن ذلك بقوله (إذ الرمى طبع لأهل سبته طبعوا عليه فلا تلقى منهم شريفاً ولا مشروفاً ولا كبيرا ولا صغيرًا إلا وله بصر بالرمى وتقدم فيه ومعظم رميهم بالقوس العقارة وهو من جملة الأشياء التى تميزوا بها) . (الأنصارى . نشرة بروفنسال ص ٢٢ - ٢٣) .

وفى الفقرة الأخيرة من النص إشارة واضحة إلى أن قوس العقارة كان أكثر الأقواس استعمالاً بسبته ، وقد كان هذا النوع من الأقواس معروفاً فى أوربا فى العصور الوسطى باسم arbalista ad duo pedos وقد عرف بهذا الاسم لأن الرامى لكى يجذب القوس كان يثبته بوضع قدميه على طرفيه . واستعمال كلتا القدمين بهذه الطريقة كان يمكن الرامى من رمى سلاح أثقل وزناً وبالتالى أقوى مما كان سيرميه لو أنه استعمل قدماً واحدة فقط كما هو الحال فى قوس الركاب راجع ج.د. ليثام: موقع سبته الاستراتيجى ووسائل دفاعها فى آواخر الفترة الإسلامية (بحث ضمن كتاب دراسات فى تاريخ مدينة سبته الإسلامية . ترجمة . أمين توفيق الطيبى. طرابلس. بدون تاريخ ص٣٥ .

(٢٥٩) الأنصارى . اختصار الأخبار نشر بروفنسال ص ١٥ - ١٦ .

(٢٦٠) الأنصارى . اختصار الأخبار نشرة عبد الوهاب بن منصور ص ٥١حاشية (١٠٥).

(٢٦١) نشر بروفنسال ص ٢٦ .

(٢٦٢) نفس المصدر ص ٢٦ .

(٢٦٣) ابن حوقل : صورة الأرض . ص ٧٩ حيث الإشارة إلى أنه كان يعمل منه بسبته قويريات لطاف .

(٢٦٤) الإدريسى . جـ٢ . ص٥٤١ حيث الإشارة إلى أنه كان يصاد بها من السمك نحو من مائة نوع ويصاد بها السمك المسمى التن الكبير وصيدهم له يكون زرقاً بالرماح فى استتها أحنحة بازرة تنشب فى الحوت ولا تخرج . وفى أطراف عصيها شرائط القنب الطوال ، ولهم فى ذلك دربه وحكمه سبقوا فيها جميع الصيادين لذلك .

(٢٦٥) الأنصارى . اختصار الأخبار . نشرة بروفنسال ص١٩ .

(٢٦٦) ليون الأفريقى . وصف أفريقيا جـ١ ، ص ٣١٧ .

(٢٦٧) ابن حوقل . صورة الأرض . ص ٧٨ .

(٢٦٨) المقصود بديار الإشراف . كلمة إدارية مغربية قديمة معناها الإشراف على جباية الأموال لخزينة الدولة . متوليها يسمى المشرف وقد حل محلها فى القرون الأخيرة كلمة أمين (راجع . اختصار الأخبار . نشرة عبد الوهاب بن منصور ص ٤١ حاشية (٧٩) .

(٢٦٩) المقصود بالديوان هنا هو مكان تسجيل المكوس و الأعشار وأدائها . ثم تخصصت كلمة (الديوان) بالمراكز المقامة بالحدود بين قطر وقطر لمراقبة السلع المجلوبة والموسوقة أى المستورده والمصدرة . واستخلاص الضرائب المفروضة عليها . فهى تعادل كلمة كمرك أو جمرك عند المشارقة (راجع اختصار الأخبار . نشرة عبد الوهاب بن منصور . ص ٤١ حاشية (٨٠) .

(٢٧٠) لكلمة القاعة خصوصية فى عرف المغاربة فهى تدل فقط على السوق التى توضع فيها أنواع الأدام لبيعها بالجملة كالزيت والسمن والعسل ويظهر انها كانت تشمل فى عرف السبتيين سوق بيع العطور (اختصار الأخبار . نشرة . عبد الوهاب بن منصور . ص ٤٢ حاشية (٨٢) .

(٢٧١) الأنصارى ، اختصار الأخبار ، نشرة بروفنسال . ص ١٨ -١٩ .

(٢٧٢) شكل رقم ٣ (ب) رقم ٦ .

(٢٧٣) الأنصارى ، اختصار الأخبار ، نشرة بروفنسال . ص ٢ .

(٢٧٤) من المعروف أن عقبة بن نافع كان قد ترك بين البربر جماعة من الفقهاء يعلمونهم القرآن وأحكام الدين منهم صاحبه شاكر المنسوب إليه الرباط المشهور والمشهور كما أن

موسى ابن نصير أنتدب أيضاً عدداً من الفقهاء لتعليم البربر القرآن وأنزل من حفاظة جماعة بين بربر طنجة وقبائل غمارة المصمودية التى تقع سبته فى ترابها أما أبو ذرعه المشار إليه فلم يذكره من المؤرخين سوى الأنصارى (راجع اختصار الأخبار ، نشرة عبد الوهاب بن منصور . ص ١٣ حاشية(٧) .

(٢٧٥) الأنصارى ، اختصار الأخبار ، نشرة بروفنسال ص ٢ - ٣ .

(٢٧٦) نفس المصدر ص٣ وصاحب هذا القبر ولد بأشبيلية فى رمضان عام ٥٩٩هـ وأخذ عن شيوخها وقرأ بأشبيلية إلى أن استولى النصارى عليها فخرج منها واستقر بسبته يقرء ويعلم إلى أن توفى بها فى عام ٦٨٨هـ . ولمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية راجع الأنصارى ، اختصار الأخبار ، نشرة عبد الوهاب بن منصور ص ١٤ هامش(٨) .

(٢٧٧) من أشهر مقابر هذه المقبرة قبر الفقيه القاضى ابن الدراج الأنصارى وهو محمد بن محمد بن عمر ابن الدراج الأنصارى . فقيه من أهل سبته وأصله من تلمسان (راجع اختصار الأخبار . نشرة . عبد الوهاب بن منصور ص١٩حاشية (٢٥) وقبر الفقيه القاضى عبد الله ابن محمد ابن عبيد الله الحجرى السبتى . ولد بقناجر فى شهر ذى الحجة سنة ٥٠٥هـ وعلم بمالقه القرآن والحديث واللغة ثم سكن سبته ثم فاس مدة، وعاد إلى سبته فاستقر بها وولى قضاء سبته يوماً واحداً . وكان مما جمع الله له بين العلم والعمل واتساع الرواية وعلو الذكر إلى أن توفى لسبعة ليله الأحد ٢١محرم عام ٥٩١ هـ (راجع الأنصارى . اختصار الأخبار . نشرة . عبد الوهاب بن منصور ص ١٣ حاشية (٦) .

(٢٧٨) بها قبور الشهداء وهى مزار مشهور بموضع متسع جامع لعدد كبير (الأنصار ص٥).

(٢٧٩) من أشهر قبور تلك المقبرة قبر الفقيه محمد بن عبد الله الأموى السبتى (الأنصارى . ص٥) وقد تولى صاحب هذا القبر قضاء سبته مرتين فى عهد أسرة برغواطه والآخر فى أيام المرابطين ، وقد ولد عام ٤٣٣هـ وتوفى فى عام ٥١٧هـ (راجع اختصار الأخبار نشرة محمد عبد الوهاب بن منصور . ص ٢١ حاشية (٣٠) .

(٢٨٠) كان بها قبر الشيخ أبى عبد الله القرمونى . من أهل سبته (راجع الأنصارى اختصار الأخبار . ص ٦) .

(٢٨١) الأنصارى . اختصار الأخبار نشرة بروفنسال ص ٢٥ .